

التوراة لأهل السنة

مصباح هدى وسفينة نجاة



السيد محمود الموسوي

التوراة الحسنية

مصباح هدى وسفينة نجاة

السيد محمود الموسوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ
النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولَنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ
أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾

(العنكبوت/ ١٠)

الفهرس

- المقّدمة..... ٧
- على سبيل التمهيد..
- القيادة المعرفية في زمن التحولات السياسية..... ٩
- القرآن ينبّه العقلية الانهزامية..... ١٢
- الثورات بين التحرك الجماهيري وحاكمية النخبة..... ١٤
- الثورة الحسينية شعاع مستمر..... ١٩
- هل نهضة الإمام الحسين عليه السلام تعدّ ثورة؟..... ١٩
- الدلالات القرآنية لكلمة الثورة..... ٢٢
- الثورة في أدبيات العلماء..... ٢٤
- ثورات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام..... ٢٤
- ما المقصود بمصطلح الثورة؟..... ٢٤
- الروح الثورية..... ٢٥
- حق الثورة ضد الظالمين..... ٢٧
- بنو أمية من زرع فكرة الاستسلام..... ٢٨
- الثورة الحسينية ملهمة الثوار..... ٣٦
- وعى الحراك السياسي..من وحي عاشوراء..... ٣٧
- الربيع الحسيني..... ٣٧
- عاشوراء وأصول السياسة..... ٣٩

- ٤٠ الواقع السياسي والتاريخ الواقعي
- ٤٢ المسألة السياسية وخطاب الذات والآخر
- ٤٤ جدلية الشعائر والموقف القيمي في ساحة السياسة
- ٤٥ التجانس بين الدولة والمجتمع
- ٤٦ شعار السلمية.. مقارنة حسينية
- ٤٨ بين إقامة العدل وتقويض الظلم
- ٥١ حوارات في الثورة الحسينية والواقع الثوري
- ٥١ (١) حوار حول القراءة الصحيحة للسيرة الحسينية
- ٥٧ (٢) قراءة في واقع الأمة السياسي
- ٥٩ أجواء الحراك
- ٦٥ الإعلام القوة الجديدة:
- ٦٧ (٣) الإعلام الحسيني والتحدي الحضاري
- ٧١ الخاتمة : خطاب الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ، بيان في حق القيام
- ٧١ الموقف من السلطان الجائر
- ٧٢ بالظلم يندرس الحق
- ٧٢ لا يبيعة للطغاة الفاسقين
- ٧٣ الخروج من أجل إصلاح الأمة
- ٧٣ من مظاهر الفساد
- ٧٣ واقع الظالمين ومصيرهم

المقدمة

إن نور الحسين سلام الله عليه واسع سعة الدنيا وما تحتاجه، وسعة الزمن في أبديته، وعندما نقول نور الإمام الحسين عليه السلام فهذا يعني أننا نتحدث عن كل قوله وكل فعله وسلوكه ومواقفه، في القضايا الشخصية والاجتماعية والسياسية، وإن استثناء جانب من الجوانب إنما يعدّ بخس لحق البشرية، لأنها ستحرم بركات الهدى الذي تفيض به مسيرة الإمام الحسين عليه السلام. وإنما هنا نحاول أن نقرأ واقعنا في حراكه الثوري والسياسي المعاصر، من خلال الثورة الحسينية المباركة، تقويماً للواقع بهدى الإمام الحسين عليه السلام، لأنه مصباح هدى وسفينة نجاة، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتكون ثورته المباركة أيضاً مصباح هدى وسفينة نجاة للبشرية.

وتأسيساً على هذه الحقيقة الناصعة، فإن أي دعاوى تعمل على وأد النور الحسيني وتحجيم موضعه ليكون حبيس التاريخ، فهي دعاوى انهزامية تحجّم دور الإمام الحسين عليه السلام في حركة الواقع، وذلك دلالة خطأ الرأي واعوجاجه، وقد تلبس على البعض بعض المقولات دون قصد الإساءة، وإنما بفعل التجزئة في قراءة النصوص أو نتيجة لتحويلات نفسية جراء مشكلات الواقع وأزماته، وسنحاول في هذا الكتاب

أن نعالج المقولات التي تمنع نور الثورة الحسينية من الانتشار والتأثير. وهي معالجات على هيئة دراسات ومقالات وحوارات قد نشرت في أدوات إعلامية مختلفة.

نسأل الله تعالى أن يعرفنا نور الإمام الحسين عليه السلام في كافة مجالاته لنقتدي به ونسير على نهجه الشريف.

محمود الموسوي
بني جمرة / البحرين
محرم الحرام ١٤٣٤ هـ

على سبيل التمهيد القيادة المعرفية في زمن التحولات السياسية

إن ما قد جرى في العالم العربي والإسلامي من حراك ثوري وتغيري بغية إصلاح وضع الأمة مطالباً بالكرامة وتوفير مناخات الحرية وتعديل ظروف العيش الكريم وتحقيق العدالة والإنصاف، منذ مطلع عام ٢٠١١ الميلادي، أو قبل ذلك التاريخ، وما نلاحظه من تأثير لذلك الحراك الضاغط على سياسات مستبدة ظالمة عاثت في الأرض فساداً حتى أهلكت الحرث والنسل، كل ذلك يقودنا إلى الحديث عن العقلية التي تشكل الرؤى وتغذي المجتمع لتصوغه من خلال بث أفكارها فيه. تلك العقلية التي تمتلك نظرة في التحولات التاريخية، وتقلبات السياسة، وبالتالي فإنها تقوم بالتبشير لتلك الرؤية في خطابها الملقى على الجماهير باعتبارها قيادة معرفية.

إن أهمية دراسة هذا الخطاب في بعده الناظر للتحولات السياسية، من الأهمية بمكان، باعتباره مؤثراً على العقلية المجتمعية، مما يحدد مدى استجابتها لتلك التحولات، وإلى مدى اغتنامها للفرص التاريخية التي تتاح للأمم بين فترة وأخرى، وفي الأغلب لا تكون تلك الفرص متجددة بشكل سريع، وإنما هي ضمن نظام أن (الفرصة سريعة الفوت وبطيئة العود)^(١) كما يقول الإمام علي عليه السلام.

والسؤال هنا: كيف تنظر تلك العقليات إلى مجريات الأحداث وتحولات الواقع السياسي؟ وبأي منظار وآليات تعمل على تفسيره؟

من الواضح أن هناك عقليتان تقومان بقراءة الواقع:

الأولى: العقلية المتأثرة بالحدث نفسه، وبالتحولات ذاتها، فتعمل على صياغة فكرها وثقافتها بناء على المعطيات التي تلامسها، وهذه العقلية إنما تخضع للواقع، وتحاول الملائمة بينه وبين ما تؤمن به من فكر وعقيدة في محاولة استقرابية. وهي ذاتها العقلية البراغماتية أو الذرائعية التي تتبنى المذهب الفلسفي السياسي الذي لا يقوم على أي تفسير أيدلوجي لحركة المجتمع والتاريخ، وإنما ينظر إلى النتائج الآنية، فنرى أن البعض من الداخل الإسلامي يتبنى هذه النظرية دون أن يعي حقيقتها، أو دون أن يصرح بها.

الثانية: العقلية التي تقرأ الواقع من خلال السنن الإلهية والسنن التاريخية الثابتة، لتكتشف أسرار التغيير لتبني من خلاله التحرك، معززة كل ذلك بالثابت من رؤاها وعقيدتها، التي لا تقبل التغيير ولا التحويل، باعتبارها سنن (تاريخية) إلهية.

إن العقلية السُنَّية التي تكتشف السنن وتؤمن بثبوتها فتتبع الأسباب، هي ذاتها البصيرة النافذة للأحداث والوقائع، فلا تنظر للأحداث المؤثرة في الحراك الاجتماعي والسياسي إلا كتطبيقات عملية واقعية للسنن، فإن الظالم مآله إلى الهلاك وكلما أمعن الظالم في ظلمه فإن أجله يقترب، وإن الإرادة والتعاون يصنعان المعجزات في التغيير. فلا ينخدع ذو البصيرة بزخم الإعلام ولا بدعايات الأنظمة الجائرة، ولا يخاف من تهديداتهم، ولا يتنازل على طموح التغيير.

إن الله تعالى ذكر في كتابه في عشر آيات متطابقة نصاً هذه الحقيقة: **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**^(١)، ناهيك عن ورود المعنى

نفسه في أشكال متعددة في آيات عديدة، وقد ذكر الله عز وجل: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾^(١).

فلذلك فإن صاحب البصيرة لا يستسلم للواقع في رؤاه ولا يتنازل عن طموح التغيير، فهو يعمل وينادي على الدوام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(٢). لياخذ الناس بالأسباب التي توصلهم إلى حياة الكرامة، كما كان ذو القرنين، الذي قال عنه تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا. فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾^(٣).

فهناك سنة كبرى تتحرك خلالها سائر السنن، وهي سنة التحول والتغير في حال الأمم والمجتمعات من حال إلى حال، حيث يداول الله تعالى الأيام بينهم قوة وضعفاً، صحة ومرضاً، فقراً وغنى، تقدماً وتخلفاً، انتصاراً وهزيمة، وتتجلى تلك السنة الكبرى في قول الله عز وجل: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

إن المشكلة تكمن في تلك العقليات التي تتأثر بالواقع فيكون الواقع هو الذي يصنع ثقافتها ورؤاها، فتراهم ينتشون وينتفضون وينادون بإمكان التغيير حينما يعيشون انتصارات الآخرين، وتلك الانتصارات التي يعيشها البشر بلا شك تبعث برسائل للعقل لعله ينفذ عنه غبار الهزيمة، كما حدث من انتصار المقاومة في لبنان على العدو الإسرائيلي، وكما حدث في تونس من هروب الدكتاتورية، وعواصف التغيير في مصر، إلا أن هذه العقلية التي تركب قناعاتها على التحولات وتكون آليات تفكيرها هي انتصارات الآخرين، لا يمكن الوثوق بها في واقع الظلم وحياة الكبت، ذلك الوقت الذي يحتاج فيه الإنسان إلى الحركة من أجل تغيير واقعه أكثر من أي شيء آخر.

١ / سورة آل عمران، آية ١٦٠

٢ / سورة محمد، آية ٧

٣ / سورة الكهف، آية ٤٨ و٥٨

٤ / سورة آل عمران، آية ٤١

القرآن ينبه العقلية الانهزامية ألم تغلب الروم؟

نعم لقد غُلبت الروم في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) حيث هزمهم الفرس المجوس آنذاك، وقد أصاب المؤمنين غمٌ وحزن، لأن الروم أقرب إلى المسلمين باعتبارهم أهل كتاب، ولكن الله تعالى أخبرهم بسننه وبوعده حيث قال: ﴿وَهُمْ مِّنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

إن القرآن الكريم يعطينا شواهد وتحولات كانت في المجتمع الإسلامي، بل في المجتمع البشري، لكي نستوعب كيفية حركة العقل، ونعي تماماً ما هي آليات صياغة الوعي وعلاقته بالواقع. وتلك الشواهد القرآنية تؤسس لثوابت حركية يصاغ من خلالها الفكر، ويمكن تتبع الآيات القرآنية ليجد المتبع وعد الله للمؤمنين بوراة الأرض، وبالنصر عندما ينصرون الله، ووعده الظالمين بالهلاك وما شابه ذلك، مما يحزر الإنسان من عقلية الانهزام أمام الواقع، وعدم الاستسلام لظروفه وتحولاته التي هي محل تغير دائم باعتبارها حدث طارئ. وتحقيق ذلك ضمن السنة القرآنية التي صرح بها القرآن الكريم في هذا الصدد في قول الله عز وجل: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾^(١).

فمع الأسف الشديد إننا رأينا وقرأنا ومنذ زمن بعيد وإلى وقتنا الراهن، كيف أن بعض المنظرين والباحثين ينقلون على أعقابهم في أوضاع يكون الناس أحوج إليهم فيه من غيرها، فيشيعون ثقافة التبرير والاستسلام باسم عدم القدرة وباسم السلام وباسم الهواجس من المحيط، وغير ذلك من تبريرات واهية.

تكمّن خطورة هذه العقلية في أنها لا تكتفي بتبرير تحركاتها، بل تسعى لإعادة قراءة التاريخ بنفس انهماجي، ذلك التاريخ المعصوم الذي تجلبت فيه بصيرة المعصوم المتطابقة مع الوحي المقدس. فيكون عند أولئك أن أهل البيت (عليهم السلام) ابتداءً بالإمام علي عليه السلام وانتهاءً بالإمام العسكري قد صالحوا ولم ينتهجوا نهج الجهاد ومقاومة الحكام الظلمة، ماعدا الإمام الحسين عليه السلام في آخر عمره اضطر لذلك - حسب ادعائهم - ولم يتفكروا في أن الإمام الحسين عليه السلام إنما كان اضطراره للمواجهة بالسيف، وليس في مبدأ السعي نحو التغيير، فإن التغيير وإرادته هو مبدأ يقرره الواقع واحتياجاته، وهو الذي قال (وأنا أحق من غيري)^(١).

من الواضح أن عقلية التأثر بالتحوّلات السياسية والمأسورة بالواقع، تتبع منهجاً تجزيئياً في قراءة التاريخ، لأن القراءة الاستيعابية لحركة المعصوم بأكملها أو لحياة المعصومين كوحدة واحدة ومطابقتها مع القرآن الكريم لا تخدم هذا التوجه، بل قد تنذر عن هذه العقلية ببعض التفاصيل المنفكة عن سياقها التاريخي، ومنفكة عن سياقها في حركة القيم الإسلامية ويفهمها بعيداً عن أصول الدين وثوابته وسننه.

كل من أسره الواقع وشعر بصعوبة التغيير نادى بأن هذه مرحلة من مراحل الاضطرار، فيؤسس رؤاه تبعاً لذلك الشعور أو التشخيص، والحال أن زمن الاضطرار الذي واجهه أهل البيت عليهم السلام كانت فيه الإبادة للخلفاء الذين لا يوجد بديلاً لهم، وكان الإسلام والولاية في خطر، أما الآن فإن مجالات الاضطرار ضيقة جداً، ومبدأ المستحيل قد استحال، هذا ما تثبته التحوّلات من حولنا، فسقوط الطاغية صدام وهزيمة إسرائيل وهروب الدكتاتوريات وإسقاطهم كالجردان، ومن قبلهم طوفان الثورة الإسلامية في إيران، كل تلك التحوّلات تثبت أن التغيير ممكن وأنه لا اضطرار في العمل تحت قباب القصور، ولا اضطرار للقبول بأشخاص لا يعون ما

١ / تحف العقول، للحراني، ص ٥٥

معنى الحكم العادل ولا يسعون إليه.

عندما يكون خيار المتصدي للشأن السياسي هو العمل مع الظالمين بحسب تشخيصه، فإن ذلك يكون أهون من خيار المفكر والمثقف والعالم الذي يختار الخيار الأضعف، لأنه يبدأ بالتأسيس الفكري لخياراته وبإعادة قراءة التاريخ وفق مساراته الجديدة، وذلك يعد تزييفاً للوعي وظلم لتاريخ أهل البيت عليهم السلام، وظلم للعباد.

إن صاحب البصيرة والعارف بالسنن الإلهية يستبشر بالتحويلات السياسية التي تجلت فيها روح الكرامة لتؤسس لتغيير الظلم إلى العدل، ويسعى إلى التبليغ بهذه الحقيقة ليغذي بها الشعوب قيادة منه للعقول، وصياغة من مداده للوعي.

أما أولئك الذين يصابغ وعيمهم من خلال الواقع وحسب، فلا بد أن تكون هذه التحويلات المتعددة والمشهودة بمثابة ثورة وانتفاضة تزيح التوجسات والتراجعات عنهم، لتعيد العقل إلى رشده بإتباعه سنن الله تعالى التي لا تقبل التبديل أو التحويل.

الثورات بين التحرك الجماهيري وحاكمة النخبة

القراءة الجديدة التي ينبغي أن يسلط عليها الضوء في المشهد الراهن للثورات العربية المتتالية، تحتم علينا أن ننزل للتصنيف المحرك لتلك الثورات، والقوى الدافعة باتجاه التغيير والتحول السريع، ألا وهما: الجماهير والنخبة، ومن ثم معالجة أهم إشكالية في العلاقة بينهما، وهي الصراع بين القوى الجماهيرية والقوى المركزية المتمثلة في النخبة، وهي القيادة المعرفية المفترضة للجماهير، إن كان ثمة صراع.

لقد برزت مجموعة من التحليلات التي تقول بأن الجماهير تجاوزت قياداتها المعرفية والنخب، لأن النخب عبر تنظيراتها ومساوماتها، ومن خلال حركتها البطيئة في المطالبة بالحقوق، لا

تلبية حاجات الناس، لهذا فقد انفجر الوضع وأصبحت الثورات ثورات جماهيرية بامتياز، ولم يعد يؤثر فيها البعد المركزي والحزبي أو القيادة الفردية. ولكننا إذا تفحصنا حراك الشعوب في ثوراتها الأخيرة سوف نجد مجموعة من الملامح المهمة التي تراكم فيها الوعي الكبير، وهذا التراكم هو بفعل وجهود النخبة بلا أدنى شك.

لا يمكن لأي قارئ لمسارات الوعي في المجتمعات أن يتجاهل جهود النخبة من العلماء والمفكرين في صياغة شخصية الأمة، فإن أي وعي يتحول إلى وعي جماهيري فهو يعني بالضرورة أن هنالك بعداً ملهماً ووعياً شاملاً، استوعب المساحات الواسعة من العقول، وإن كان ذلك الوعي من غير ملامسة مباشرة لمضان المعرفة والوعي، وذلك الوعي لم يأت من فراغ، بل أتى بفعل تراكم جهود عبر عمل امتد لسنين، واتسعت رقعته لمساحات واسعة.

وبفعل أدوات الاتصال والإعلام الذي أصبح من ضروريات الحياة اليومية لأغلب الشعوب، فإن الوعي يتسرب إلى العقول ويصوغها بالمواد التي تبث فيها، وذلك الوعي هو فعل النخبة، فالنخبة التي تحمل في جعبتها خطاباً حضارياً ورامياً للإصلاح في الأمة قد حصل على متلق دائم، وبشكل أوسع، وإن تمثل ذلك بصورة إجمالية مغايرة لخصوصية الانتماء الحزبي، فإن هذا النوع من الوعي هو نتاج تراكم المعرفة العامة ونتاج تظافر الجهود وتنوعها.

ويمكننا أن ندلل على ذلك، ونكتشف حقيقة تأثير النخب في الوعي وبالتالي نخرج بنتيجة مهمة وهي أن للنخبة من العلماء والمفكرين دور في الثورات العربية والحراك الذي يقوم بمطالب الإصلاح في الأمة، من خلال ملاحظة مجموعة من الجوانب التي أصبحت عوامل مشتركة في ثورات الشعوب العربية الأخيرة وهي كالتالي:

١ / هناك إجماع على المطالبة بالكرامة الإنسانية وتقدير إنسانية الإنسان وتعزيز مكانته ورد الاعتبار لشخصيته المنتهكة، وتقديم تلك الكرامة على المطالبات الأنية المنحصرة في الخبز والقوت اليومي، وقد اعتبرت الثورات العربية تلك المشكلات المعيشية إنما هي نتيجة وليست سبباً للحال الذي هم عليه، فالكرامة مقدمة على العيش في الذلة، وقد شاهد الناس تسجيل الفيديو لتلك الفتاة المصرية التي تصرخ: إلى متى سيكون همتنا هو المعاش، فنحن بشر؟! . وقد أصدرت القوى الشبابية في إحدى هذه الدول فيلماً وثائقياً عن الكرامة يظهر فيه شيخاً طاعناً في السن يرّد: إن رغيف خبز صغير يكفيني، ولكنني أريد أن أعيش بكرامة.

٢ / المطالبة بالعدالة والمساواة ورفض التمييز على أسس طائفية أو عرقية في مختلف الشؤون، فقد قامت الثورات تطالب بأن يكون كل فرد له من الفرص ما للفرد الآخر دون تمييز، ودون أن يبخص أحد حقه في ما يريد أن يبلغه ويحققه، سواء كان ذلك في التعليم أو في العمل أو في المشاركة السياسية أو غير ذلك.

٣ / من المسائل المهمة واللافتة هي مطالبة الشعوب بالوطنية الصادقة وبالاستقلالية وعدم التبعية للدول المستغلة، فالوعي الجماهيري العام يعي تماماً ما الذي تعنيه التبعية، فهو يريد أن يمثل نفسه ويصنع شخصيته ويحتفظ بخصوصياته وينطلق بها في المشاركة في مسيرة الحضارة البشرية، فلا يكتفي بالحصول على وسائل الرفاه، وإنما لا بد أن يقرر مصيره ويقرر دوره في الحياة السياسية بخصوص القضايا التي يؤمن بها، تأييداً ورفضاً.

وبذلك ظهرت مقولات أن الوطنية هي الانتماء للوطن وحب الوطن هو حب لمصلحة من يعيشون في الوطن، وأن التبعية هي خيانة للوطن، وقد فرقت الثورات في خطاها بين الولاء للوطن والولاء للحاكم.

٤ / لقد حرصت الثورات على مبدأ مهم من مبادئ العمل في آلياته، مثل العمل على الاستفادة من الحقوق المكفولة دولياً للإنسان، ومنها حق التظاهر وحق التعبير عن الرأي وحق تقرير المصير وحق المشاركة السياسية وما إلى ذلك من الممارسات التي من حق الإنسان أن يمارسها، وقد سارت بالفعل كافة الثورات على هذا المنوال.

ومن معالم التحرك السياسي الذي مورس في الثورات الأخيرة هو العصيان المدني وتوابعه من الضغوط التي تمارس في العمل السلمي للوصول إلى الأهداف المنشودة.

٥ / كما أن الاستفادة من الإعلام ووسائله الحديثة هو ما أشعل تلك الثورات وهو ما ربط بين الجمهور دون الحاجة إلى مبان أو قاعات مؤتمرات، فتلك الوسائل التي يحاول الغرب أن يؤثر من خلالها على الجماهير والشعوب الإسلامية والعربية، استطاعت الشعوب أن تغتتم وفرتها وسهولة الوصول إليها في التحشيد وفي التنظيم وفي إيصال صوت الثورة إلى أبعد مدى، بل أصبحت الأداة الإعلامية هي محل للصراع، ومن خلالها يمكن إثبات الوجود والمصادقية في تحد كبير للإعلام الرسمي المحتكر من قبل السلطات والذي يدعم توجهاتها الخاصة.

٦ / التواصل مع المنظمات الحقوقية الدولية هو أمر مشترك أيضاً لكافة الثورات، فقد تمكنت الثورات من التواصل الإيجابي لبيان مصداقيتها وإظهار مظلوميتها، لتكون تلك المنظمات وسيلة ضغط مهمة وفاعلة في الثورة.

٧ / كما أنه من المهم أن نؤكد على شعارات الثورة ونداءاتها التي تعبر عن ثقافتها ووعيتها وخصوصيتها الدينية، فللثورات شعارات تعبر عن مطالبها السياسية المباشرة، سواء الإصلاح والعدالة أو الرحيل والمحاکمة، وهنالك شعارات تعبر عن ثقافة الشعوب ووعيتهم وانتفاءهم كشعار (الله أكبر) أو (هيهات منا الذلة) أو (منصورين

والناصر الله)، كما لاحظنا أن من أهم المظاهر التي كانت في عمق الحدث هي الصلاة والدعاء.

فمن خلال عرض هذه النقاط المشتركة بين ثورات الشعوب يتضح لنا أن هذه الثورات لم تكن ردة فعل أو تمرد من الشعوب على العلماء والقادة والأحزاب، وإنما هي حراك جامع ومعزز ومستفيد من كل تلك القوى، ولكنه سيل جارف ولحظة من اللحظات التاريخية المهمة التي استفادت منها الشعوب لتمثل وعيها الذي اكتسبته من جهود علمائها ومفكريها، وبالتالي فإننا لا يمكن أن نبخس حق العلماء والمفكرين جهودهم في هذه الثورات.

فلقد كانت الثورات الشعبية الأخيرة عبارة عن استجابة إجمالية وبشكل غير مباشر للقيادة المعرفية، التي تمثلت في التوجيهات ضمن الخطاب الجماهيري، أو الدراسات التأصيلية والبحوث التي تعالج مشاكل الأمة وتبين عوامل تخلفها ومقومات نهوضها الحضاري.

الثورة الحسينية شعاع مستمر

هل نهضة الإمام الحسين عليه السلام تعدّ ثورة؟

لا شك أن حركة الإمام الحسين عليه السلام بشكل عام هي ذاتها حركة الأنبياء والرسل، الذين جاءوا لإنقاذ الأمة من الجهالة وحيرة الضلالة، ليخرجونهم من الظلمات إلى النور، وأن كل خطوة يتخذها الإمام ستصب في هذا الاتجاه، وقد برزت بشكل جلي تلك الوثبة التي قادها الإمام عليه السلام في وجه الطاغية يزيد بن معاوية (لعنه الله)، والتي انتهت إلى معركة فاصلة بين الحق والباطل، وقد سالت فيها الدماء وسُبيت بعدها النساء، كل ذلك كي لا يعطى يزيد حق في البقاء أو شرعية للحكم ليتولّى على رقاب المسلمين وهو الرجل الفاسق قاتل النفس المحترمة، والذي يعيث في الأرض الفساد.

ولقد جرى العلماء على تسمية تلك الوثبة الحسينية ضد الجور، بالثورة، معبرين عن حالة الانتفاض وحركة الرفض القوية تجاه الوضع القائم آنذاك، إلا أن البعض أخذ يرفض مصطلح الثورة ونسبته إلى الإمام الحسين عليه السلام لداعي أن اللفظ يعبر عن حالة الهيجان الخالي من العقل، وأنها لم ترد في روايات أهل البيت عليهم السلام، بل قيل بأنها لا تستخدم كوصف لفعل بشري، بل هي خاصة بالأفعال البهيمية الحيوانية، وما إلى ذلك من أسباب. وهنا نقاش بشيء من الاختصار هذا الإدعاء.

إن الكلام في المفاهيم كلام مهم، لأن المفاهيم هي بوابة لإيصال رسائلنا إلى عقولنا ووعينا أولاً، ومنها نرسلها إلى الآخرين، من هنا يأخذ الكلام أهميته، لذلك ينبغي أن ننظر لمصدر ذلك المحتوى ونعي إيجاءاته بشكل دقيق وواضح.

إن الكلمات التي نداولها إما أن تكون دلالاتها لغوية، تأخذ مضمونها وشرعية استخدامها، من الاستعمالات اللغوية عند العرب، أو تكون دلالاتها شرعية فتأخذ مضمونها من المصادر الشرعية (النصية) حصراً.

فالنوع الأول من الكلمات: تشكل لنا المصطلحات والمفاهيم الوصفية التي نستعملها في تداولتنا للدلالة على معاني معهودة مسبقاً، بأي نوع من أنواع العهد، المذكور سياقاً أو المعهود عرفاً، أو المعهود علمياً في قواميس المصطلحات أو ماشابه ذلك، حيث يكتسب اللفظ معناه بالتعيين، أي أن يتفق على وضع لفظ ما معنى مراد، أو يكتسب اللفظ معناه بالتعيين، أي بكثرة الاستخدام يرتبط المعنى مع اللفظ.

والنوع الثاني من الكلمات: وهي التي تأخذ معانيها ومضامينها من الشرع، فهي التي تشكل لنا منظومة المفاهيم والمصطلحات القيمة، التي تختزل في داخلها مضموناً أصيلاً لا يمكن انفكاكه عنها، وهذا النوع كما أسلفنا، مصدره النصوص الشرعية المعتمدة.

هنا تحديداً قد وقع من المدعي في نوع من الاشتباه المنهجي، الذي حمل من خلاله مفهوماً من النوع الوصفي تبعات المفاهيم القيمة، فيقال عن كلمة (الثورة) لم يستخدمها القرآن في الدعوة إلى التغيير والإصلاح ولا نجد لها استعمالاً في أحاديث النبي الأمين والأئمة الطاهرين؟! وهذا محض اشتباه. فكلمة الثورة هي للدلالة على حالة من التحرك السياسي أو مرحلة من مراحلها، وهي كلمة وصفية لهذه الحالة من التحرك، لذلك ليس من الصحيح منهجياً

أن نرفضها أو نقبلها على أساس استخدامها في النصوص الشرعية بهذا المعنى أو عدم استخدامها؛ لأنها ببساطة، من الكلمات الوصفية، وبالطبع فإن ذلك سينسحب على كثير من الكلمات التداولية التي تسالنا عليها وتعاهدنا على معانيها، فإن كان من رفض سيرفض كلمة (الثورة) لعدم ورودها بهذا المعنى، فلا بد أن يرفض كلمة (جمعية) وكلمة (حوزة) وكلمة (ثقافة) وهي الكلمات التي يستخدمها الناس للدلالة على مضامين معينة معروفة عندهم، بدعوى عدم ورود هذه الكلمات في لسان الروايات، وبالطبع هذا خطأ ولا يصح.

وقد علّل البعض رفضه لكلمة (ثورة) بتعليل آخر يتصل بالمضمون الذي يحتزّه هذا التعبير، ويقول: (لأنها كلمة تحتزن العُنفَ والتخريب ومع غياب التوجيهات التربوية أو ضعفها ترى الفرد يثور حتى على أحبّته وأرحامه بحجّة الثورية إن خالفوه ولو في الطريقة! وهنا يكمن المصدر في العصبية والقطيعات والتراشق بالكذبيات التي مزّقت ولا تزال أبناء المجتمع الأقرين فضلاً عن الأبعدين).

ولا أدري بالضبط من أين أتى القائل بهذا التضمن للكلمة بشكل مطلق، فلوراجعنا الكلمة بالرجوع لمصدرها (ثار، يثور، ثوراً، وثوراناً..) في كتب اللغة لوجدنا أن (ثار) لها معان متعددة، وكلها تتحدد حسب السياق وحسب النسبة، فأحياناً تأتي بمعنى (هاج) أو بمعنى (الوثب) وإذا قيل ثار الغبار وغيره أي (ظهر وسطع)، وثار الماء (نبع بقوة) وثوران الشفق (انتشاره وارتفاعه) وثور الأمر أي (يحثه).. كما في لسان العرب وغيره. وجاء في القاموس المحيط أن الثورة: العُدَّة الكثير.

فأصل الكلمة لها دلالات مختلفة تتأرجح بين الهياج والنهوض وبين الانتشار والسطوع، وبين البحث والتقليب والكثرة.

الدلالات القرآنية لكلمة الثورة

إننا نجد استخدامات أصل الكلمة قرآنيًا لها دلالات متعددة، بل لها دلالات متحركة ومنسجمة مع المشهد الذي تحكيه الآيات في جملة من المعاني ذات أبعاد رائعة وإيجابية، لنرى تلك الدلالات بشكل عابر:

يقسم رب العزة والجلال بخيول المجاهدين التي تثير الغبار دخولاً لسوح الجهاد: ﴿فَالْمَغِيرَاتِ صُبحًا. فَأَتَرْنَ بِهِ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾. [البقرة: ٧١]، فتشير الأرض تقلبيها من أجل إصلاحها لاستقبال البذور لتنمو فثمر ثمراً طيباً. وقوله عز وجل: ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم: ٩] آثاروا الأرض أي استخرجوا كنوزها وخيراتها.

وفي حركة التشوير في السماء نراها تبعث الحياة على الأرض بتوفير ماء المطر عبر إرسال الرياح لتثير السحاب الممطر، كما يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَمِيَّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

فلا نجد أصل المضامين السلبية التي يوردها البعض، كالعنف والتخريب في كلمة (ثورة) أو أصلها المصدر، لا في اللغة ولا في الآيات القرآنية، بل على العكس تماماً، فإن استخدام القرآن الكريم فيه دلالات الإحياء واستخراج الكنوز والخيرات من أجل حياة كريمة وعزيزة طيبة.

كل ذلك الإيراد السلبي ليس مبرراً لرفض هذه الكلمة، إلا إذا قلنا أن هنالك حساسية ما من استعمالها، أو أن استخداماتها في الواقع العملي من البعض قد يكون فيه نوع من السلبية أو عدم وعي

لأدبياتها، وكل ذلك لا يعطينا المسوّغ لرفضها بالكلية.

وعلى العموم فإن الثورة هي مرحلة تصل إليها المجتمعات بعد تفاقم المشكلات السياسية ووصولها إلى طريق مسدود، وليس شرطاً أن تكون في السياسة فقد تكون ثورة اجتماعية أو ثورة ثقافية أو اقتصادية، وقد توسع الحديث في مجالاتها حتى أصبح لها علم يسمّى بعلم الثورة، ولسنا مجبرين على الأخذ بتنظيرات مفكري ذلك العلم، فإننا كمسلمين نمتلك ضوابطنا في التحرك وأدبياتنا التي انطلقت من المخزون المعرفي الذي نؤمن به. وقولنا هذا لا يعني أن استخدام المصطلحات الأخرى خطأ، بل هو مؤكد على صحتها، كتوصيف ثورة الإمام الحسين عليه السلام بالنهضة والانتفاضة أو الحركة أو ما شابه ذلك.

ومن الجدير بالذكر أنني وجدت رواية قد عبّرت بكلمة (يثور) كما هي مستخدمة في الأدبيات السياسية الإسلامية، فعن أبي عبد الله عليه السلام في حديث حول أمر ما، قال في آخره (حتى يثور نائر الحسين عليه السلام).^(١) أي حتى يثور الإمام المهدي المنتظر (عج) ورواها البعض بتعبير (حتى يقوم)، إلا أن الشيخ الصدوق في كتاب (من لا يحضره الفقيه) وكتاب العلل ذكرها بلفظ (يثور)، فهذا تعبير إمام معصوم عن ثورة إمام معصوم آخر، فلا مجال فيها للمعنى السلبي، على الإطلاق. وإن قيل بأن الكلمة فيها تصحيف واشتباه في النقل، فإننا نقول أن ذلك تكلف واضح، فالتصحيف هو بإبدال بعض الحروف المتقاربة التي تبدّلت عبر تداول النسخ، ككلمة (كيس) أبدلت ب (كيس) بدون التشديد.

وقد نقل سليم بن قيس في كتابه عن سلمان الفارسي في الوقائع التي حصلت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو يصف وثبة الإمام علي عليه السلام بما نصه: ﴿فَاقْتَحَمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ بَغَيْرِ إِذْنٍ وَ نَارٌ عَلِيٌّ

١ / من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٧١

عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى سَيْفِهِ فَسَقَّوهُ إِلَيْهِ وَهُمْ كَثِيرُونَ.. ﴿١﴾. فسلمان الفارسي يصف الإمام علي عليه السلام بأنه ثار، تعبيراً عن تلك الوثبة، فهذا دليل على أن اللفظ جار في اللسان العربي.

الثورة في أدبيات العلماء

لقد استعمل العلماء المعاصرين اصطلاح الثورة للتعبير عن حالة النهوض والوثبات المناوئة للظالمين، ونحن نعرض هنا بعض تلك المقولات على سبيل المثال.

ثورات النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام

يقول الإمام الشيرازي (قدس سره) توصيفاً لحركة الأئمة (إن كلاً من الحسن والحسين كان رجلاً ثائراً، والفرق هو أن الإمام الحسن عليه السلام كان يعد الثورة، والإمام الحسين عليه السلام قام بالثورة فعلاً، فالثورة تحتاج إلى إعداد وتنفيذ وتفجير، فالرسول الأعظم ﷺ في مكة كان ثائراً، ولكنه كان ثائراً إعدادياً، وفي المدينة كان ثائراً فعلياً تنفيذياً.

فإنه لا يمكن للثورة أن تتم بدون إعداد وتهيئة، وكذلك الإعداد بدون نهوض وتفجير خارجي ليس له جدوى^(٢).

ما المقصود بمصطلح الثورة؟

تم توجيه سؤال لسماحة المرجع الديني السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله) حول المقصود بمصطلح الثورة، وهو التالي:

١ / سليم بن قيس، ج ٢، ص ٦٨٥
٢ / فقه الحكم في الإسلام، الإمام الشيرازي

يفهم البعض مصطلح (الثورة) على أنه القيام بعمليات عسكرية كالتفجيرات والاعتيالات والعمليات الانتحارية وما أشبه... فما هي النظرية الثورية التي تدعون إليها؟

آية الله المدرسي: للإجابة على السؤال أقول، إن شيوع بعض المفردات اللغوية قد يصبح أحياناً موضة أو (موديل) وهذه المفردات قد تستخدم بمعاني مختلفة، فمثلاً، إن مصطلح الديمقراطية قد تستخدمه الدول الغربية والدول الشرقية وربما بعض الحركات التحررية، وكل طرف، بالتأكيد يعني بها ما يريد حتى يصدق فيها قول الشاعر، وكل يدعي وصلاً بليلي.

ونفس الشيء يمكن أن يقال بالنسبة لمصطلح الثورة الذي شاع في عقد الثمانينات، أما ما أعني أنا بهذا المصطلح فهو، الإصلاح الجذري، أي بمعنى أن نعيد الإنسان إلى فطرته، والخلقة إلى شريعة الله وبمعنى آخر، أن نعيد خلق الله إلى شرع الله، وهذه النظرية - الإصلاح الجذري - تقوم على أساس إن أصل خلقة الإنسان سوية والأصل في الطبيعة هو الصلاح، وإنما الفساد أمر طارئ سواء على الإنسان أو على الطبيعة، وان عملية إزالة الفساد الطارئ إنما تتم عبر ما نسميه بـ (الثورة) أو بتعبير أشمل (الإصلاح الجذري)⁽¹⁾.

الروح الثورية

ويقول آية الله السيد هادي المدرسي عن الروح الثورية:

١ / رؤى في التغيير والإصلاح، المرجع المدرسي.

(فالروح الثورية، هي روح التجاوز التي تتطلع إلى خلق واقع جديد على أنقاض واقع قديم، وهي روح الاستهانة بالعقبات والنكسات في سبيل تحقيق الأهداف، وعلاوة على ذلك فإنها تهتم اهتماماً كبيراً بوسائلها وقوانينها وتكتيكاتها الخاصة بها)^(١).

١ / رؤى في مسيرة الحركة الإسلامية، آية الله السيد هادي المدرسي.

حق الثورة ضد الظالمين

هل أن الإمام الحسين عليه السلام استثناء في قيامه؟ أم أنه قدوة يحتذى سبيله لمقارعة الظالمين ولرد الظلم وإقامة العدل؟

إن الإمام الحسين عليه السلام مصباح الهدى وسفينة النجاة في كل شيء وفي كل عصر، في كلامه وفي قيامه، وهو مع أخيه الحسن عليه السلام إمامان قاما للجهاد والثورة أو قعدا. فهذه حقيقة واضحة، إلا أن تكالب الزمان وهجوم البلايا على الموالين، جعل البعض يصاب بانهازية نفسية، تتحوّل بعدها إلى فكرة ومن ثم إلى فلسفة في الحياة، كما يقول أحد العلماء، لذا فإنه قد يتمسك ببعض الروايات الواردة في كتب الحديث والتي قد يفهم منها إشارة إلى عدم جواز الخروج ضد الظالمين، وعدم دفع الظلم والجور، وعدم إنكار المنكر الذي يأتونه، وقبل أن تناقش هذا الادعاء ونرد عليه بما يخالفه وبما يوافق القرآن الكريم وروايات النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته سلام الله عليهم، فإننا نستعرض بعض تلك الروايات:

١/ عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد، عن عثمان بن عيسى، عن بكر بن محمد، عن سدير قال قال أبو عبد الله عليه السلام: يَا سَدِيرُ الزَّمُ بَيْنَكَ وَكُنْ جُلُوسًا مِنْ أَحْلَاسِهِ وَاسْكُنْ مَا سَكَنَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ فَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ السُّفْيَانِيَّ قَدْ خَرَجَ فَارْحَلْ إِلَيْنَا وَ لَوْ عَلَى رِجْلِكَ^(١).

٢ / عَنْهُ - محمد بن يحيى - عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ عَنِ حَمَّادِ بْنِ عِيسَى عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَالِيهِ السَّلَامُ قَالَ: كُلُّ رَأْيَةٍ تَرْفَعُ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ فَصَاحِبُهَا طَاعُوتٌ يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١).

٣ / مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى عَنِ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ عِيسَى عَنِ عَلِيِّ بْنِ الْحَكَمِ عَنِ أَبِي أَيُّوبَ الْحَزَّارِ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَنْظَلَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَالِيهِ السَّلَامُ يَقُولُ: خُمْسُ عَلَامَاتٍ قَبْلَ قِيَامِ الْقَائِمِ - الصَّيْحَةُ وَالسُّفْيَانِيُّ وَالْخُسْفُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الرَّكِيَّةِ وَالْيَمَانِيُّ فَقُلْتُ جَعَلْتُ فِدَاكَ إِنْ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ قَبْلَ هَذِهِ الْعَلَامَاتِ أَنْخُرْجُ مَعَهُ قَالَ لَا فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ تَلَوْتُ هَذِهِ الْآيَةَ - إِنْ نَشَأَ نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ فَقُلْتُ لَهُ أَهِيَ الصَّيْحَةُ فَقَالَ أَمَا لَوْ كَانَتْ خَضَعَتْ أَعْنَاقُ أَعْدَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(٢).

بنو أمية من زرع فكرة الاستسلام

إن فكرة الاستسلام وعدم جواز الخروج على الظالم وعدم رد الظلم، والقبول بالظالمين فوق رؤوس العباد والبلاد حتى وإن أفسدوا، لم تكن واردة في مدرسة أهل البيت عَالِيهِ السَّلَامُ، بل هي جدلية ابتلي بها أصحاب مدرسة الخلافة بسبب جهود بني أمية في تحريف الروايات، ليقوم الناس بالقبول بهم على أساس ديني، وقد رويوا مجموعة روايات في ذلك مثل:

١ / يروي البخاري: قال رسول الله ﷺ: إنكم سترون بعدي أثرًا وأمورًا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: أدوا إليهم حقهم وسلموا الله حقكم.

٢ / وروي أيضاً عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ قوله: من كرهه من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية.

١ / المصدر، ص ٥٩٢

٢ / المصدر، ص ١٣

٣/ وروي عن عبادة بن الصامت قوله: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان).

٤/ ويروي حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدائي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس) قال قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع^(١).

وقد جاء بعد ذلك بعض المفكرين المتحررين منهم، والذين سئموا الضيم والظلم وعملوا على الخروج من هذه الإشكالية التي ساهمت في الخط من كرامتهم والإمعان في مذلتهم، وحاولوا تأويل تلك الروايات أو رفضها التزاماً بعمومات القرآن الكريم وما صح نسبه للنبي ﷺ حسب منهجيتهم.

وقد كان في مقابل ذلك هو خط الرفض للظلم والعدوان الذي يستقي تعاليمه من أهل البيت عليهم السلام، فقد بقي هذا الخط نقياً من الشوائب؛ لأنه لا يأخذ تعاليمه إلا من القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، وفي تبيان حقيقة ما عمله بنو أمية، ورد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: **إِنَّ بَنِي أُمِيَّةٍ أَطْلَقُوا النَّاسَ تَعْلِيمَ الْإِيْمَانِ وَلَمْ يَطْلُقُوا تَعْلِيمَ الشَّرِكِ لِكَيْ إِذَا حَمَلُوهُمْ عَلَيْهِ لَمْ يَعْرِفُوهُ**^(٢) فكان غاية بني أمية أن الناس يتجاوزون عن انحرافهم ويقبلون بظلمهم.

ولكن مع الأسف الشديد وبسبب بعض الهزائم النفسية للبعض ممن يوالون أهل البيت عليهم السلام علقت بهم هذه الشائبة ووقعوا في اشتباهه عندما أخذوا بعض الروايات وتركوا البعض

١ / للمزيد انظر (أبداً حسين. أو شرعية الخروج على حكم الجور)، شريف راشد الصديقي،

دار الهادي، بيروت، ط١، ١٠٠٢م

٢ / الكافي، للكليني، ج٢، ص ٥١٤

الأخر، وعندما لم يلتفتوا إلى هدى القرآن الكريم في نفس الموضوع.

فإن أي رواية تأتينا ونشعر أنها مخالفة لعموم الكتاب العزيز وإلى الثابت من الروايات الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ، فلا بد أن لا نفهمها مجردة عن سياقها الموضوعي، ولا ينبغي أن نفهمها بعيدة عن أصل الكتاب وسائر الروايات الشريفة، فلا بد من فهمها ضمن تلك الآيات والروايات وذلك لعدة أسباب:

أولاً: لأن في الروايات محكم ومتشابه كما في القرآن الكريم، فلا بد من رد المتشابه إلى المحكم لمعرفة ولاستبيان.

ثانياً: لأن كلمات أهل البيت ﷺ ليس فيها تعارض مع كتاب الله، وليس فيها تعارض مع بقية أقوالهم عليهم السلام.

ثالثاً: لكي نخرج بنظرة موضوعية ناضجة لرؤية أهل البيت ﷺ وتوجيهاتهم في هذا الموضوع.

ومن هنا فإننا ينبغي أن نعرف أن القرآن الكريم والنبي وأهل بيت قد أجمعوا على عدة أمور واضحة وهي ثوابت في الشريعة الغراء، منها:

١/ الحكم حكم الله تعالى، ومن يحكم بغير ما أنزل الله فهو فاسق وكافر ومنافق.

٢/ لا بد من السعي للعمل بحكم الله تعالى والعمل من أجل تحقيقه قدر الإمكان.

٣/ لا بد من مقاطعة الظالمين وعدم التسليم لحكمهم.

٤/ ضرورة محاربة الظالمين وتقويض حكمهم.

٥/ الاعتقاد بالعداء الأبدي للظالمين.

٦/ ضرورة الدفاع عن النفس، وعن الحرمات (حرمات الله ،
حرمات المجتمع، حرمات الفرد).

٧/ ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وغير ذلك مما تشبهه الآيات الصريحة والروايات الصريحة (وسوف
نذكر جزءاً بسيطاً منها في آخر الكلام).

فعندما تأتينا بعض الروايات الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام
ونراها مخالفة لتلك الأصول القرآنية والروائية، فهنا أحد ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن تكون تلك الروايات غير صحيحة لمخالفتها الكتاب
والسنة الثابتة. كما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فما ورد عليكم من خبرين مختلفين
فاعرضوهما على كتاب الله فما كان في كتاب الله، موجودا حلالا أو
حراما فاتبعوا ما وافق الكتاب و ما لم يكن في الكتاب فاعرضوه على
سنن رسول الله فما كان في السنة موجودا منهيًا عنه نهى حرام او
مأمورا به عن رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله امر الزام فاتبعوا ما وافق
نهى رسول الله و امره^(١).

الأمر الثاني: أن تكون تلك الروايات صدرت (تقية) أي أن أهل
البيت عليهم السلام قالوها بالفعل ولكن لظروف التقية القاهرة والتي يراد
منها معالجة موضوع ضمن ظروف زمانية معينة، فهذه لا يمكن
تعميمها على كافة الأزمنة والظروف. وهناك روايات كثيرة في كتب
الفقه وغيره مما هو تقية.

الأمر الثالث: أن تكون تلك الروايات ناظرة لأبعاد متنوعة وتحدث
عن توصيات ضمن متغيرات الأزمنة، أو لظروف ومواقف استثنائية
قد تجري في بعض الأزمان لبعض الأشخاص وليس لهم كلهم.

وبملاحظة الروايات التي صدرنها بها هذا البحث، نجد

١ / الكافي، ج١، ص٦٦، الهامش.

أنها تؤكد على عالم الانتظار وضرورة التحرك ضمن راية أهل البيت عليه السلام، والخروج المقصود والمنهي عنه، هو الإدعاء بأن الخارج بأنه من أهل البيت عليه السلام أو أن يدعي الإمامة، فهي راية ضلال إن ادعت الإمامة المعصومة، وما عدا ذلك من مواقف فيشملة أصل ضرورة التغيير ورفض الظلم والظالمين، وأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وهكذا يمكن معالجة وفهم الروايات التي قد يأتي بها البعض لتبرير تقاعسه أو خوفه، أو جهله، أو اشتباهه، أو لتقوية السلطان الجائر، وهذا بالضبط ما هو موجود في الفكر السلفي الذي لا يجيز القيام على الحاكم الجائر بل ويعتبره ولي الأمر حتى لو كان فاسقاً.

وقبل أن أسرد بعض الآيات والروايات، التي تؤكد بوضوح تام على مبدأ الدين وقيمه في الموقف من الظلم والظالمين، أقول أنه ينبغي أن تقرأ سيرة أهل البيت عليه السلام كاملة، ولا بد أن لا يتجاهل أمثال أولئك روايات أهل البيت عليه السلام المتكررة في ضرورة العداوة مع الظالمين وعدم التسليم لهم، لأن ذلك إعراض عن كلمة الله وكلمة النبي وأهل بيته.

إليك بعض النصوص:

١ / ﴿يُرِيدُونَ أَن يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. (النساء / ٦٠)

٢ / الإذن في مواجهة الطواغيت، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنفُسِهِمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. (الحج / ٣٩)

٣ / ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ

لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿النساء/ ٧٥﴾، (والآية تدل على ضرورة ردع المستكبر عن ظلم المستضعف ولو بقوة السلاح، وهي مطلقة وتشمل حال كل مظلوم وظالم).

٤ / ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. [التوبة: ٢٠]

٥ / ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾. [العنكبوت: ٦٩]

٦ / ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. [التوبة: ١١١]

٧ / عن الإمام علي عليه السلام: ﴿جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَجَاهِدُوا بِالسِّتْرِ فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا فَجَاهِدُوا بِقُلُوبِكُمْ﴾^(١).

٨ / ورد عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: حَيْرُ النَّاسِ رَجُلٌ حَبَسَ نَفْسَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُجَاهِدُ أَعْدَاءَهُ يَلْتَمِسُ الْمَوْتَ أَوْ الْقِتْلَ فِي مَصَافِهِ^(٢).

٩ / وورد عن أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ يَا عَلِيُّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ كَتَبَ عَلَيَّ الْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ فِي الْفِتْنَةِ مِنْ بَعْدِي كَمَا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْجِهَادَ مَعَ الْمُشْرِكِينَ مَعِيَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْفِتْنَةُ الَّتِي كُتِبَ عَلَيْنَا فِيهَا الْجِهَادُ قَالَ فِتْنَةُ قَوْمٍ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَهُمْ

١ / بحار الأنوار، ج ٧٩، ص ٩٤

٢ / مستدرک الوسائل ومستنبط المسائل، ج ١١، ص ٧١.

مُخَالِفُونَ لِسُنَّتِي وَطَاعُونَ فِي دِينِي فَقُلْتُ فَعَلَامَ نَقَاتْلُهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ -
وَهُمْ يَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ عَلَى إِحْدَائِهِمْ فِي
دِينِهِمْ وَفِرَاقِهِمْ لِأَمْرِي وَأَسْتِحْلَاهُمْ دِمَاءَ عِزَّتِي^(١).

وهذه الرواية تدل على أن الآيات التي جاءت عن مواجهة
المشركين في القرآن تجري على الحكام الظالمين.

١٠ / كَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام فِي رِسَالَةٍ إِلَى بَعْضِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ: وَمِنْ
ذَلِكَ مَا ضَمَّعَ الْجِهَادَ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْأَعْمَالِ وَفَضَّلَ
عَامِلَهُ عَلَى الْعَمَالِ تَفْضِيلًا فِي الدَّرَجَاتِ وَالْمَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ لِأَنَّهُ ظَهَرَ
بِهِ الدِّينَ وَبِهِ يُدْفَعُ عَنِ الدِّينِ وَبِهِ اشْتَرَى اللَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِالْجَنَّةِ بَيْعًا مُفْلِحًا مُنْجِحًا^(٢).

١١ / عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَحَلَةُ الْقُرْآنِ عُرْفَاءُ
أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى قُودًا أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالرُّسُلُ
سَادَاتُ أَهْلِ الْجَنَّةِ^(٣).

١٢ / مِنْ وَصِيَّةِ لِلْإِمَامِ عَلِيِّ عليه السلام لِلْحَسَنِ وَالحسين عليه السلام لَمَّا ضَرَبَهُ
ابْنُ مَلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّهُ، قَالَ: (لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ
الْمُنْكَرِ فَيُؤْتَى عَلَيْكُمْ شَرَارُكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ)^(٤).

١٣ / عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةٌ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ
جَائِرٍ)^(٥). ومثله عن الإمام علي عليه السلام: (مَنْ آثَرَ رِضَى رَبِّ قَادِرٍ
فَلْيَتَكَلَّمْ بِكَلِمَةٍ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)^(٦).

١ / وسائل الشيعة، ج ٥١، ص ٢٨

٢ / الكافي، ج ٥، ص ٣

٣ / بحار الأنوار، ط، بيروت، ج ٨، ص ٩٩١

٤ / مكاتيب الأئمة، ج ٢، ص ٥٥٢، علي أحمد الميانجي، مركز بحوث دار الحديث، قم،

إيران.

٥ / إرشاد القلوب، الديلمي، ج ١، ص ٨٩

٦ / غرر الحكم ودرر الكلم، ص ٨٤٣

١٤ / الإمام علي عليه السلام: (قُولاً بِالْحَقِّ وَاعْمَالاً لِلْأَجْرِ وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً) (١).

١٥ / عن الإمام علي عليه السلام: (وَالْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ عَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالصَّدَقِ فِي الْمَوَاطِنِ وَشَتَانِ الْفَاسِقِينَ فَمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ نَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُتُوفَ [الْمُنَافِقِينَ] الْكَافِرِينَ وَمَنْ صَدَقَ فِي الْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ وَمَنْ شَتَى الْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ اللَّهُ غَضَبَ اللَّهِ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٢).

ويمكننا أن ننطلق من هذه الرواية التي تبين أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعبة من شعب الجهاد، إلى الكثير من الآيات القرآنية والروايات الشريفة حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتكون داعماً لحق الجهاد والخروج على حكام الجور.

الروايات كثيرة جداً، وأختم بهذه الرواية المعبرة:

١٦ / قال الإمام علي عليه السلام: (أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدُوَّانَا يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِيءٌ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أَجْرٌ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسِّيفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ السُّفْلَى فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينَ) (٣).

ناهيك عن الروايات التي تبين عقاب من يقترب من السلطان الجائر ومن يركن إليه.

١ / نهج البلاغة، ص ١٢٤

٢ / نهج البلاغة، ص ٤٧٤

٣ / وسائل الشيعة، ج ٦١، ص ٣٣١، ونهج البلاغة.

الثورة الحسينية ملهمة الثوار

إن ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم تقم كي تبقى مجمدة في متاحف التاريخ، وإنما هي قدوة لكافة الثوار عبر التاريخ، لأن الإمام الحسين عليه السلام هو القدوة الحسنة في كل أفعاله، ولم يخرج فعله الكربلائي من دائرة الإقتداء، بل هي نور وهدى تضيء للناس دروبهم تعلمهم أسس العمل الرسالي، وإن لم يأخذ الثوار عبر التاريخ معالم حركتهم من الإمام الحسين عليه السلام فممن يأخذون!.. وبالفعل فقد اتخذها الأحرار عبر الأزمان مشعلاً يضيء لهم دروبهم ويحفزهم لنيل الكرامة ودفع الظلم وتحقيق العدالة في الأرض، فقامت ثورات بعد استشهاد الإمام مباشرة واستمرت حلقتها حتى سقطت دولة بني أمية، واستمر الاستلهام من الثورة الحسينية في مواقف الإباء والكرامة حتى يومنا هذا، وكما يقول الإمام الشيرازي (قدس سره): (إن ثورة الحسين عليه السلام لم تكن ثورة وقتية لتموت بعد زمان، وإنما كانت ثورة الحق ضد الباطل، وثورة العدالة ضد الظلم، وثورة الإنسانية ضد الوحشية، وثورة الهداية ضد الضلال، ولذا كان من الضروري، امتداد هذه الثورة مادامت الدنيا باقية، ومادام يتقابل جيشا الحق والباطل والهداية والضلالة، وهذا هو سرّ تحريض الرسول صلى الله عليه وآله وآله الكرام المسلمين على الاحتفال بذكرى عاشوراء طول الدهر، ومنه اتخذ المسلمون مجالس العزاء والحفلات التأبينية بمختلف أشكالها، طول الزمان، وإلى هذا يشير ما ينقل من أنه: (كل يوم عاشوراء، وكل أرض كربلاء)^(١).

١ / الإمام الحسين أسوة، الإمام السيد محمد الشيرازي.

وعي الحراك السياسي

من وهي عاشوراء

الربيع الحسيني

كل قيمة من القيم تحتاج في مقام التفعيل إلى أمرين: الأمر الأول هو صناعة موسم للتحميد والتحفيز لها، ولما تقدمه تلك القيمة، والأمر الثاني الذي تحتاج إليه هو ممارسة ما استلهم من الموسم في ساحات وبقاع مختلفة، وتفعيل القيمة على أرض الواقع ليتم حصد النتائج.

فكما أن شهر رمضان هو ربيع القرآن الكريم، والموسم الأنسب لتداول البصائر القرآنية، والتدبر في الآيات المباركة، ثم يسعى الإنسان إلى تفعيل علاقته بالقرآن الكريم طوال العام والاهتداء ببصائره، كذلك هي القيم الحسينية والثقافة الحسينية، فإن لها موسم ولها ساحات تفعيل، فموسمها هو عاشوراء الذي تحيي فيه كل قيم عاشوراء كالكرامة والحرية والإباء والإيثار والتحدي وروح التغيير ومواجهة الظلم، وساحتها وربيعةها هو كل ساحة وكل أرض تستقبل بذور قيم عاشوراء وترتوي بعذب مبادئها، ليتم تفعيلها وتمكينها، فتكون كل أرض تحيي فيها تلك القيم هي أرض كربلاء، وكل يوم ترفع فيه تلك القيم فهو يوم عاشوراء.

إن ما يعيشه الواقع العربي اليوم من أحداث سياسية

متلاحقة ومطالب للتغير ووقوف ضد الظلم والطغيان، يصنّف في جهة من جهاته ضمن الربيع الحسيني، حيث أن آثار النهج الحسيني كانت واضحة، وروح التغير وروح الكرامة ومجموعة من القيم الحسينية، كانت هي الصبغة الأساس في ذلك التحرك، وقد يستغرب البعض من ذلك، فيقول أن مجموعة من الساحات التي كانت محط الثورات الراهنة لم يكن فيها ذكر للإمام الحسين عليه السلام ولا إحياء للشعائر الحسينية، فكيف تصنّف هذه الساحات ضمن الربيع الحسيني!

وللإجابة على ذلك نقول أن التأثير لأي فعل ليس بالضرورة يكون تأثيراً مباشراً، فقد يكون التأثير بشكل غير مباشر، أي عبر تعدد وسائط التأثير، وعبر ما يخلق من أجواء مؤثرة في التوجهات العامة، أو من خلال التأثيرات المتركمة تاريخياً في أصل الثقافة ونوع الرؤى والمناهج.

وكذلك يمكن النظر لهذا الأمر من جانب آخر، وهو أن التاريخ أنبأنا أنه كان هنالك نهجان متباينان، نهج يحكم بالحديد والنار، ويتسلط على رقاب الأمة ويتأمر على الناس ويستغل الدين لمنافعه الشخصية، وكان هناك نهج يقابله ويتحداه ويقارعه، وهو نهج العدالة والكرامة والتحرر من عبودية المال وعبودية الناس إلى عبودية الله والرجوع إلى الفطرة، وقد ظهر ذلك بجلاء في معركة كربلاء، وقد قاد نهج الاستعباد والاستغلال يزيد بن معاوية، وقاد نهج التحرر والعدالة والكرامة، الإمام الحسين عليه السلام، ومن هنا استمر النهجان تاريخياً، فكان مما انبثق من نهج يزيد نظرية الولاء لولاة الأمر حتى لو كانوا أفسق الناس وأفسدهم، وانبثق من النهج الحسيني، الولاء للقيم ذاتها وللأشخاص بمقدار ما يتمثلون تلك القيم.

ومع تعاقب الزمن المشحون بالمغالبة الثقافية، تظهر القيم الحق لتأخذ طريقها، ويتغلب النهج الحسيني الأصيل على ثقافة الاستعباد وروح الانهزام، فيتكوّن ربيع الحرية والكرامة والعدالة،

وتلك هي القيم الحسينية ذاتها ونفحة من نفحاتها.

يقول المرجع المدرسي : «لما وقعت الواقعة الرهيبة، وانتهت بمصرع السبط وأصحابه الأبطال على أرض كربلاء بأبشع إجرام عرفه التاريخ، دوّى صداها في العالم الإسلامي، وزلزل عرش بني أمية زلزلاً».

ولم تمضِ مدة طويلة حتى اندلعت ثورات في كل مكان واستمرت حلقات متصلة، حتى انتهت بسقوط الدولة الأموية.

وإن كان الأمر لم ينتهِ بسقوط بني أمية تماماً، حيث انحرفت القيادة الإسلامية أيضاً عن مجراها الصحيح، إلا أن ثورة أبي عبد الله عليه السلام ونهضته الجبارة كوّنت جبهة قوية متماسكة تقف دون أي انحراف يريده المجرمون للحق ومفاهيمه.

والواقع أننا إذا تابعنا أحداث التاريخ بدقة، نرى أن كل دعوة صادقة ثارت على الطغيان في قرون متطاوله، إنما كانت نابعة عن حركة الإمام الحسين عليه السلام.

وهكذا نستطيع أن نقول: إن نهضة الحسين عليه السلام ظلت قاعدة أصيلة للحركات الإصلاحية في التاريخ الإسلامي على طول الخط، وستظل هكذا إلى الأبد^(١).

عاشوراء وأصول السياسة

من أهم الغايات التي من أجلها صارت لكلمات أهل البيت عليهم السلام ورواياتهم، محورية واعتماداً راسخاً، هو أن تلك

١ / الإمام الحسين عليه السلام قدوة وأسوة، ص ١٦، آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي.

الروايات الشريفة بمثابة الأسس التي تبنى عليها الأفكار، وهي أصول ثابتة، ينطلق من فهمها واستيعابها، إلى الفروع في المتغيرات الزمانية والمكانية.

وسيرة الإمام الحسين عليه السلام هي سيرة نورانية كسائر سير أهل البيت عليهم السلام، يستلهم منها النور ليضيء به الحياة، ومن خلال هذا الأساس لا يوجد أساس لمقولة إبعاد موسم عاشوراء عن الواقع، لأنه إما أن يؤسس للواقع الجديد كحالة فكرية مغذية لسائر الأفكار، وإما أن يتم الانطلاق منه إلى واقع جديد كواقع زمني يستفاد من حماسته ومن الجذوة التي يشعلها في النفوس.

فقد فُدد الإمام مقولة أن الحدث الكربلائي غير قابل للانسحاب على سائر الساحات التي تتوافر فيها ذات الموازين التي وجدت فيه تاريخياً، فنُدها بمقولته عليه السلام: (ولكم في أسوة)، ليثبت أن قانون الأسوة مازال ماضياً ولا يوجد نسخ له في الحدث الحسيني الكربلائي الكبير، نعم إن عظمة الحدث ذاته لا يمكن الوصول إليه في المقام الرباني، وفي الموقعية الواقعية التي أنقذ بسببها الإسلام ككل بعد انحراف كبير، فإنه (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله) كما قال الإمام الحسن عليه السلام.

وتبقى كربلاء المسيرة، وكربلاء الواقعة، وكربلاء التفاصيل، كلها ضمن قول الرضا عليه السلام: (علينا إلقاء الأصول وَعَلَيْكُمْ التَّفْرِيعُ)^(١). فيأتي دور العقل لكي يستل من كربلاء أصول الفعل السياسي ونهج العمل الحركي ورؤى الإصلاح ومناقبيات التغيير، فيوائمها مع ظروف كل عصر ومصر.

الواقع السياسي والتاريخ الواقعي

عندما أجاب بعض العلماء على إشكالية الذين يريدون أن يمنعوا مداولة التاريخ وإحياء وقائعه فيما بين المجتمع كما تحبى

واقعة عاشوراء في كل عام، بأن الله تعالى قصّ علينا أحسن القصص في القرآن الكريم، تلك القصص التي سردت لنا صراع الأنبياء والصالحين مع الطواغيت والواقع الفاسد، وتلك القصص التي أحيها القرآن لحي خير دليل على ضرورة إحياء تاريخ النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ وسرد الصراع والتحدي الذي عاشوه، وهذا الدليل يمثل حجة دامغة برغم سلاستها ووضوحها.

إن من يريد أن يمنع مداولة التاريخ وقراءته وإحيائه، يتحجّجون بأنه يثير الفتن والنزعات الطائفية، ولكن ذلك غير صحيح خصوصاً بالنسبة لتاريخ الصراع السياسي بين قوى النور وقوى الظلام، فقراءته ليست مهمة وحسب، بل هي بالغة الأهمية، لأنها تبصر القارئ بالواقع السياسي المعاش، وسبل النجاة من مهاويه وإنقاذه من الأعيب المضللين، وتعرّفه بموقفه من الظلم والظالمين، فمن يريد أن يمنع قراءة التاريخ فهو يمنع جزءاً من الوعي المهم في تكوين العقل البشري، ويحاول أن يحجر عليه لكي لا يعي ما يدور حوله في ساحات السياسة.

ولا نستغرب إن عرفنا أن من يقود حملة الانقطاع عن التاريخ الذي فصل بين الإمام الحسين ﷺ ويزيد بن معاوية (لعنه الله)، منهجياً، أي في الفكر والسياسة، هو من يتقرب إلى يزيد وسياسته ومن اتبع سياسته ومنهجه في الحكم، لكي يغض الناس الطرف عن مساوئهم ويحصل هو على الحصص الدنيوية أو الطموح الشخصي، لا نستغرب ذلك لأننا عشنا التاريخ ببصيرتنا ومشاعرنا، فكان ذلك جزءاً من وعينا للواقع، بل إن هذا الواقع الذي نراه من النماذج التي نراها تتحرك في الواقع السياسي، يعطينا نتيجة يقينية بواقعية التاريخ وأحداثه التي تُروى، ومواقفه التي تحكى، فلا يمكن لشخص يعيش سيرة الإمام الحسين ﷺ وسيرة كربلاء وإرهاصاتهما، أن يغفل عن أصحاب المصالح الذين يسترضون الظالمين من أجل الحفاظ على مكاسبهم، أو علماء البلاط الذين يشترعون بقاء الظلم بألسن ملوية، أو أذعياء الثقافة، والمنظرين الذين ينسلخون من مفاهيمهم ويقبلون

للناس الأمور، وغيرها من النماذج المعاصرة والمعاشة.

فنحن لا نستغرب واقع الانحراف والتلوّن والالتواء والنفق السياسي؛ لأن (التاريخ الواقعي) أنبأنا بذلك.

ولا نستغرب وجود تاريخ مليء بالانحراف والتلوّن والالتواء والنفق السياسي؛ لأن (الواقع السياسي) يشهد بذلك.

فالدليل على واقعية التاريخ هو الواقع السياسي الذي نعيشه، ومن هنا سيكون إحياء عاشوراء ضرورة حضارية، وستكون له مهمة أساسية في الوعي والعقل الاجتماعي لضمان وضوح الرؤية وعدم الانخداع بفتاوى علماء البلاط ولا بتحريفات أشباه المثقفين، ولا بأكاذيب الإعلاميين.

المسألة السياسية وخطاب الذات والآخر

لقد أخذت فكرة إقامة العدالة وبسط الحكم الحق وفقاً للتصور الإسلامي مأخذها في أدبيات الفكر الإسلامي المعاصر، واستمرت المعالجات لفكرة الدولة الدينية ومشروعيتها وغاياتها وأشكالها، ولعل أهم ما توقف عنده مفكرو الإسلام إشكاليّتان، إشكالية شرعية الدولة الدينية وعدمها في عصر الغيبة، ومن جهة ثانية إشكالية شكل الدولة وطريقة إدارتها للأمر.

إن التداول الفكري في تينك المسألتين كان من اختصاص الداخل بين أرباب الفكر الإسلامي أنفسهم وفيما بينهم، باعتبار أن مرجع الاختلاف هو اختلاف في قراءتهم للدليل المشرّع، ويرجع بعضه لاختلاف مبناي أصولي، أي في أصل النظر للدليل ومدى الاستفادة منه وكيفيته.

إلا أن ذلك السجال اتسع نطاقه وأصبح السجال الأكبر هو بين قادة الفكر الإسلامي من جهة، وقادة الفكر الغربي والسياسة

الغريبين وكل من يغيّر الفكر الديني في منهجته من جهة أخرى، وعمد هؤلاء للتدخل في هذا المضمار لأنه ميدان خصب للتشكيك في صلاحية الفكر الديني لقيادة الأمة، ولتقويض التأثير الذي يحدثه الدين في ساحة الحياة.

ومن هنا فإن الخطاب الديني الذي يتحدّث عن مشروعية القيام ومشروعية الحكم الإسلامي، قد يقع في لبس وخطأ في عرض الخطاب أو في أصل التنبّي لهذه الفكرة أو تلك، إن لم يلاحظ في أي دائرة هو يتحدث، وهذا يقود إلى نوع القراءة للتاريخ أيضاً.

فإن الإمام الحسين عليه السلام قام من أجل الإصلاح في أمة جده رسول الله صلى الله عليه وآله، لكي يعيد الأمور إلى نصابها وإلى ما أراد الله ورسوله إلى الأمة أن تكون عليه، وأعلن صراحة بإرادة التغيير، ورفض ظلم يزيد وطريقته في الحكم، وقد قام الإمام عليه السلام ليأخذ بزمام الأمور ليقيم العدل ويسط الأمن ويقيم الدين، فمقاصد الإمام واضحة وأهدافه قد أعلنها منذ البدء ولا يمكن التحريف فيها أو قراءتها بخلاف ما هي عليه. وتأسيساً على ذلك فإن صلاحية الفكر الديني في إدارة شؤون الأمة يعتبر أمر مسلّم به لدى الداخل الديني، وهو ليس محلاً للإشكال في التداول العلمي بين أرباب الفكر الإسلامي.

فالخطأ يحصل لدى البعض حينما يناقش أصل مشروعية القيام وتأسيس دولة دينية، أو عندما يناقش في شكل الدولة الدينية، بنفس تشكيكي، مرجعاً رفضه للتشكيك في كفاءة الفكرة الدينية ذاتها، وهذا خلط في التداول وفي المطالب، فهو يناقش شأنًا داخلياً وعينه على الخارج. ويمكن أن نقول - ابتداءً - أن التداول الداخلي يحكمه الدليل الشرعي وميدانه الفقه والتشريع، والتداول مع الآخر المختلف يحكمه الدليل العقلي وميدانه العقيدة وعلم الكلام.

جدلية الشعائر والموقف القيمي في ساحة السياسة

منذ أن بدأت الصحوة الإسلامية المعاصرة قبل أكثر من ثلاثين عاماً وإلى اليوم وإشكالية التعاطي مع موسم عاشوراء في تغليب الجانب الشعائري أو تغليب الجانب القيمي والثقافي، تثار بين الحين والآخر، وتزداد الإثارات عند اقتراب موسم عاشوراء من كل عام.

ولقد كان إثارة هذه الإشكالية في شكل الإحياء العاشورائي ومضمونه، من ضمن البحث عن العوامل الناهضة للأمة، وإعادة مراجعة الممارسات والأفعال الدينية والثقافية ل يتم إعادة صياغة تتناسب ودعم الحراك الناهض والروح التي انبثقت من الصحوة الإسلامية وتناميها.

ومن أفضل المعالجات لهذه الإشكالية هو التوازن في الفعل بين الجانب الشعائري والجانب القيمي، فلا إلغاء لأي جانب منهما، ولا يمكن أن يغلب جانب على حساب إضعاف الجانب الآخر، لأن لكل جانب فعله وفائدته، لما عبّرت عنه الروايات عن أهل البيت عليهم السلام في الدعوة إلى البكاء والجزع وإظهار المظلومية والتركيز على الإعلام، وأيضاً لما عبّرت عنه من دعوة إلى الإحياء العلمي لمبادئ ثورة الإمام الحسين عليه السلام لأن الإمام عليه السلام هو قدوة لكل الأجيال.

وكذلك لما أثبت الواقع من صحة ونضوج هذا التوجه، وضعف التوجه الذي أراد أن يلغي الشعائر ويسخر منها، وأثبت ضعف رأي من أراد أن يلغي روح العطاء ونور العلم في ثورة الإمام الحسين عليه السلام لكي تكون مناراً في كل عصر.

المحصلة التي نريد الوصول إليها والتأكيد عليها هي أننا مهما حاولنا أن نتصّر لإحدى هذه الرؤى، إلا أن النتيجة ستكون في الواقع المعاصر الذي يعيشه أصحاب الرؤية، فهل يعبر واقع من أراد أن يغلب الجانب القيمي، عن واقع قيم ثورة الإمام الحسين

عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ في رفض الظلم والظالمين، وفي الوقوف في صف المظلومين؟ أم هي لقلقة لسان؟ وعندما يجدد الجدّ يقلّ الديّانون ويختارون مناهج بعيدة عن مبادئ وقيم الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ التي حاربوا الشعائر من أجلها.

وفي الطرف المقابل هل سيجعل المغلوبون للشعائر ثورة الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ بمنأى عن الواقع المعاصر وتحدياته؟ وهل سيعتبرون هذا الموسم للاستجمام والتنفيس عن هموم شخصية؟ أم سيكونون كما كانت مواكب اللطم والتطبير في النبطية في لبنان التي واجهت الاحتلال الإسرائيلي أثناء المواكب بكل بسالة؟

إذاً النتيجة في صحة هذا المسار أو ذلك تؤخذ بالمواقف المعبرة عن الروح الحسينية الأبية التي ترفض الظلم والظالمين، لأن الأمور بمآلاتها الواقعية وليست بالشعارات.

التجانس بين الدولة والمجتمع

إن مفردة الدولة تختلف عن مفردة المجتمع في المفهوم وفي الاعتبار، فهما ليسا شيئاً واحداً، بل هما أمران مختلفان تماماً، ولكل مفردة سلطتها واعتبارها الخاص، وبالتالي فإن اجتماعهما لا يعني بالضرورة وجود علاقة مجانسة وموائمة بينهما، فمنظري السياسة ارتأوا ضرورة توفر عوامل التجانس بينهما، وإلا فإن الحياة على أرض مشتركة بين دولة غير متجانسة مع المجتمع لن تدوم ولن تظفر بالأمن، ولن تهناً بالعيش.

وعند وجود الاختلاف بينهما يتم البحث عن ما هو أصل وما هو فرع، فهل السلطة هي الأصل فيمكنها أن تطوّر المجتمع لصالحها، أم العكس، وقد توصل الكثير من المنظرين إلى أن المجتمع الأصل الذي يقطن الأرض هو الأصل، وليست السلطة إلا أداة طارئة يمكن تبديلها وتغييرها، ولذلك عمدت الكثير من الحكومات على حشد المؤيدين عن طريق الارتزاق واستجلاب أفراد موالين

ومتنوعي الأعراق والتوجهات، وما يوحدهم هو المال والولاء لذات أشخاص السلطة، وهذا الأمر انطبق على العديد من الدول العربية بحسب ما جاء في كتاب (المجتمع والدولة في الوطن العربي) الذي أصدره مركز دراسات الوحدة العربية، لمجموعة من الباحثين العرب، وهذا الأمر ينذر بالخطورة على الدولة وعلى المجتمع معاً.

الثورة الحسينية جاءت لتواجه سلطة مرقعة ليس فيها وحدة موضوعية، بل تجمعها المصالح والرغبات الدنيوية، بينما الركب الحسيني كان يجمعه المبدأ والفكر، لذلك فإن النتيجة العميقة للمعركة لم تكن هي ما تحصل من أحداث اللحظة والتي كانت مؤلمة على الركب الحسيني، فلقد تم تفكيك السلطة الموهومة والمزعومة ليزيد وزمرته، بل وامتد ذلك لشلال من التمرد، ومزيد من التفكك في السلطة المزعومة، فانهارت الدولة الأموية وجاءت الدولة العباسية على أنقاضها، والتي هي بدورها تأكلت وأصبح بعض السلاطين يمكث فيها أشهراً، وكل ذلك يقود إلى الخطأ الكبير الذي تعتمد السلطات التي تستمد شرعيتها من المال أو الأحقاد النفسية، بلملمة الرجال من حولها بالمال والجاه والذي ينقلب عليها عادة.

والثورة الحسينية أسست إلى ما هو أعمق في مجال العلاقة بين الدولة والمجتمع، وهو علاقة المبدأ والقيم، فإن الجهة التي تكون في أي موطن سواء هي ضمن المجتمع أو ضمن الدولة أو هي فرد، فما دامت تحمل رسالة القيم وتواجه الأشكال السلطوية بالحقائق القيمة وأبرزها العدل الذي به تتم المجانسة بين مختلف مكونات المجتمع، فإن لها ضمانة البقاء والاستمرار والاستقرار، فإن الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم، كما في الأثر الإسلامي.

شعار السلمية.. مقارنة حسينية

يناقش منظرو الحركة الإسلامية مبدأ السلمية في التحرك المطلبي أو عند القيام بعمليات التغيير الحضاري والسياسي تحديداً،

ويأتي في مقابل ذلك خيار القوّة والعنف كأساس للتحرك، ولكلّ منحنى من هذه المناحي استدلاله، سواء يستلّ هذا الدليل من الإرث المعرفي النصوبي العقدي، أو من خلال المقاربة الواقعية والمنطقية.

فقد قالوا أن مبدأ السلمية واللاعنف، يعتمد على قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾، وفي الجانب الواقعي فإنهم يقولون أن هذا النهج أقل ضرراً وأبلغ للحجة، واستدلّ من قال بالتحرك الذي يلجأ للقوّة والعنف، أن قوله تعالى ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾، هي الدليل على ذلك، كما أن الواقع يحتّم عليكم أن تتبنّى مقولة: ما أخذ بالقوة لا يستردّ إلا بالقوة.

وقد يبدووا للوهلة الأولى أن التمايز بين النهجين من الواضحات، وأن التباين والتباعد بينهما بيّن، إلا أن الحقيقة ليست كذلك، فهناك تداخل بينهما، وهناك ما هو أصل وما هو فرع، وهناك مسألة الابتداء ومسألة الدفاع، فلا يمكن الحديث عن النهجين بنوع من التسطّيح والتغافل، فهذه المسيرة الحسينية المباركة توضّح لنا الفروق والخطوط الفاصلة بين النهجين، فقد كان الإمام الحسين عليه السلام مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام، في تحرك سياسي وحضاري سلميّ، وعندما وجد الإمام أن الأمر استلزم رفع درجة المواجهة من أجل الدين، فقد نهض وحشد لذلك رجاله واستدعاهم للوقوف إلى جنبه، ومع كل ذلك لم يبدأ القوم بقتال، إلا أنه عندما اعتدي عليه قام وجرّد سيفه وسيوف من معه لنصرة الدين والدفاع عن الحرمات.

إن الخطاب المغالط الذي يصف الحراك الجماهيري بالعنفية عندما تدافع الجماهير عن نفسها أو حتى عندما تقوم باحتجاجات سلمية بحسب الفهم السياسي، يأتي - ذلك الخطاب - من مصادر

تريد وأد أي تحرك للشعوب ضد الظلم والعدوان، ليكون الناس في سبات ليلعب أمثال يزيد بمقدرات الأمة ويستعبد طائفة منهم، فترى عمق المغالطة واضحة حال احتياج الدول والحكومات إلى صدّ التحركات بالعنف، فإنها تبرر لنفسها بألف تبرير كي تؤجج الحروب وكي تقمع الشعوب.

فمن هنا يمكن أن نتخذ إخراج الحركة المتوازنة بين النهجين، في قول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

وفي الحدث التاريخي نستلهم من سيرة الإمام الحسين عليه السلام بشموليتها المؤشر التصاعدي للحراك الجماهيري ونوعه.

بين إقامة العدل وتقويض الظلم

المشروع الحسيني مشروع حضاري متكامل، وتكامله مبني على أساس الرؤية الدينية الشاملة والمستوعبة لكافة مجالات الحياة، وبما أن الإمام الحسين عليه السلام هو الإمام المعصوم المفترض الطاعة، وهو صاحب الحق الخاص بالتعيين من الله تعالى للخلافة والقيادة، فإنه عليه السلام يسعى في حركته إلى تحقيق كل الغايات ومن حقه ذلك، وإن لم يتحقق جلها فإن الأساس هو تحمّل المسؤولية تجاه ذلك.

وفي عصر غيبة المعصوم عليه السلام تستمر مسؤولية تحمّل تلك الغايات الحضارية الكبرى، ولا تتجمد، فمقاليدها بيد العلماء الذين هم امتداد عام لخط الإمامة، وإن اختلفت الجزئيات في المواصفات للمعصوم وفي مدى الصلاحيات التشريعية.

وفي طريق تحقيق المشروع الحضاري الإسلامي لا يشترط أن يتم تحقيق كل الغايات المرجوة من جميع الجهات، لكي يحق للعاملين

الإقدام على الشروع في أي حراك سياسي، لأن تحقيق الهدف الشمولي قد يكون غير مقدور وعصي على التحقق.

وتأسيساً على ذلك فينبغي أن نفرّق بين مفردتين في هذا المجال، وهما: مسألة إقامة العدل، والمسألة الأخرى هي تفويض الظلم، فإن الدين دعا بها لا يدع مجالاً للريب لأن يقوم المؤمنون بالعمل في اتجاه (تحقيق العدالة وتمكينها في المجتمع)، كما كانت دعوات الدين إلى (الوقوف ضد الظلم ورفضه، فيكون المؤمن للظالم خصماً وللمظلوم عوناً)، وهذا التفريق يدعوننا إلى تقرير ما يحتاجه الذين يقيمون العدل في مواصفاتهم وشروطهم، ومن جهة أخرى النظر في الشروط التي ينبغي أن تتوافر في من ينبغي أن يقف ضد الظلم والطغيان.

ويمكن أن نضع شروط إقامة العدل وما يليه من الحكم الحق، في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المائدة/ ٤٤ .

فقوله تعالى ﴿بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ يدلّ على مقام علمي يعي أحكام الله ومقاصد الشرع المقدّس، وقوله عز وجل ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أي يتصدون للتطبيق لما يعرفون، فتتطابق لديهم المعرفة والعمل، فمن يكون قائماً على العدالة لا بد أن يكون ذا كفاءة عالية.

أما تجاه صد الظلم وتقويضه ومنع حدوثه من أجل أن لا يسبب تحلّفاً ودماراً للأمة، فهو لا يحتاج إلى ذلك المقام الكبير من العلم، بل يحتاج إلى فقه مناقبيات التحرك وأخلاقياته، لكي لا يقع العامل نفسه في الظلم، فإن الوقوف في وجه الظالمين هي مسألة

يمكن أن تكون مقدمة لإقامة العدل، وقد لا تكون إلا بمقدار إزالة الظلم نفسه، فعندما يقع الظلم على المرء عليه أن يسعى إلى رده ودفعه. فلا داع للاحتجاج على الحراك الجماهيري ضد الظالمين بأنه لا يمتلك كفاءة علمية للتصدي، لأن المقام الرفيع يحتاجه إقامة العدل وتطبيقه، بل إن في الأمة من هو أهل لذلك خصوصاً إذا كان الأمر شورى بين العقلاء والحكماء، وعلى الأخص إذا قمنا بمقارنة الكفاءات التي يزرعها المجتمع مع ثقافة من يتربعون على الكراسي والمناصب.

حوارات في الثورة الحسينية والواقع الثوري

(١)

حوار حول القراءة الصحيحة للسيرة الحسينية^(١)

السؤال الأول: ثمة من يُرجع الفرق بين الحسين -عليهما السلام- إلى طبيعة النظام المواجه، وآخرون يرجعونه إلى طبيعة المجتمع المعاش وأمراضه، ما أسباب الاختلاف إن وجد بوجهة نظرك؟

لمعرفة حكمة اختيار المعصوم لنهجه الذي انتهجه في الحياة، علينا أولاً أن نعرف الخط العام للدين والخط العام لمسار أهل البيت (عليهم السلام)، وهو إقامة أمر الله تعالى وبناء المجتمع الصالح من خلال الإصلاح الذي يختلف نوعه من إمام إلى آخر، وبسبب عدم معرفة هذا التأسيس المهم فقد يشط البعض في فهم الفروق بين سيرة المعصومين، لذا قال البعض في التفريق بين الإمامين الحسينين عليه السلام بأن الإمام الحسن عليه السلام ذو طبيعة باردة ونفسية مسالمة، ولذلك صالح معاوية، بحسب رأيهم. وقد أرجعوا سبب ثورة الإمام الحسين عليه السلام على حكم يزيد إلى أنه ذو دم حار ونفسية قوية، وهذا الاستنتاج انحراف وقدح في شخصيات أهل البيت عليهم السلام لأنهم إنما يسلكون منهجهم المؤسس على أسس الدين لا على أسس شخصية وطبائع متغيرة.

١ / حوار لمجلة قناديل كربلاء، المنطقة الشرقية، ٤٣٤١هـ

يمكننا أن نعزو أمر الاختلاف في طبيعة النظام القائم ولكن دون معزل على الحال الاجتماعي، فإن نوع النظام بما له من أثر في المجتمع الإسلامي وبما له من أثر في حركة القيم في المجتمع، يدعو إلى وضع نوع خاص من الإستراتيجية لمواجهة، ويمكننا أن نعي ذلك من خلال كلمة الإمام الحسين عليه السلام بعد أن استشهد الإمام الحسن عليه السلام واجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد بعد أن كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام كتاباً بالتعزية، وذكروا في كتبهم أنهم يوالونه ويرضونه لهم خليفة ويشكون إليه شناناً معاوية، ويسألونه الكتاب إليهم برأيه. فكتب الحسين عليه السلام إليهم: «إني لأرجو أن يكون رأي أخي رحمه الله في المودة، ورأيي في جهاد الظلمة رشداً وسداداً، فالصقوا بالأرض، وأخفوا الشخص، واكتموا الهوى، واحترسوا من الاطءاء ما دام ابن هند حياً، فإن يحدث به حدث وأنا حي يأتكم رأيي إن شاء الله».

السؤال الثاني: تجزئ عادة سيرة الإمام الحسين ويعرض الفصل الأخير منها، ما أسباب ذلك؟ وكيف يمكن تفادي الطرح المبسر المقطوع عن الجذور؟

كل قراءة تاريخية مقطوعة عن سياقها التاريخي لا شك أنها ستكون ذات معطيات لا تتطابق مع مقاصد الحدث، وبهذه الآلية المبتورة يمكن لأي قارئ أن يستفيد من المقطع الذي يلائم توجهاته الفكرية، ويتوافق مع خياراته السياسية، بعيداً عن الموضوعية، فيحاول تطويعه لتلك الخيارات التي يمضي فيها.

وهذا الأمر ينطبق على من يريد قراءة السيرة الحسينية، إلا أن هنالك ميزة مهمة في سيرة الإمام الحسين عليه السلام، فمن يركز على الفصل الأخير منها وهو فصل المعركة الكربلائية، سيجد أن مقولات الإمام الحسين عليه السلام ومواقفه في تلك المعركة، تشير إلى الجذور وتشير إلى سياق التاريخ، فهو يذكرهم بمقولات

النبي ﷺ، ويرجع أسباب تحركه ومقاصده إلى تلك الأسباب والمقاصد، ويستدل بالقرآن الكريم على مراداته الشريفة، كما كان يذكرهم بتاريخه الشخصي ومحورية شخصيته وأهميتها عند النبي ﷺ، بل يذكرهم بأصل الولاية الإلهية، فإن دراسة الحدث الكربلائي يدعو الباحث إلى الرجوع إلى الوراثة ليقراً السيرة السابقة ثم يوصلها بالحدث.

ثم أن إهمال قراءة المسيرة الحسينية بشموليتها من شأنه أن يخفي على الباحث بعض الجوانب المضيئة والتي تصلح أن تدخل ضمن معركة الصراع الحضاري بشكل أفضل، فأنت عندما تتعرف على سيرة العطاء عند الإمام الحسين ﷺ فإنك ستعرف بعض مقاصده في نهضته وثورته، وعندما تتعرف على المحورية الدينية لشخصيته الشريفة، ستعي نوع المقاصد السياسية التي كان يرومها الإمام ﷺ.

يمكننا تفادي القراءة المبسرة بإيصال الحدث الكربلائي إلى جذوره التي أشار الإمام ﷺ إلى كثير منها في خطابه، وإذا عرفنا أن سيرة الإمام الحسين ﷺ بكاملها سيرة نورانية يمكنها أن تضيء لنا دروب الحياة فهذا حافز مهم يدعونا لاستيعاب القراءة التاريخية وعدم الاكتفاء بحدث واحد.

السؤال الثالث: بعض من يحاول التأسّي بالإمام الحسين يتسم تأسيه بالحدة والصدامية، هل يعدّ ذلك مؤشراً لأسلوب فهمنا لحركة الإمام الحسين؟ ومن ناحية أخرى هل مبدأ اللاعنف في الإسلام جسدي فقط أم يشمل العنف اللفظي؟ وكيف يتم التوفيق مع بعض الأحداث الصاخبة؟

إننا نرى أن من يرى الحياة كلها تحتاج إلى آلية المواجهة الحادة، هو تماماً كمن يرى أن الحياة تتسم بالموادعة الدائمة، فكلاهما

مخطئ، فما دام أننا عرفنا أن أهل البيت عليهم السلام كلهم نور واحد، فهذا يعني أن المتأسي بالإمام الحسين عليه السلام هو أيضاً متأس بالإمام الحسن عليه السلام وبالإمام الرضا عليه السلام، وبالإمام الكاظم عليه السلام وسائر الأئمة عليهم السلام، ولكن قراءته للواقع قد يمثلها بالواقع الذي كان يعيشه الإمام الحسين عليه السلام في خطه العام، أي أنه يرى أن الطاغوت تمدى إلى حد كبير حتى لم تكن هنالك قابلية للإصلاح، فينبغي استخدام أدوات الثورة الحسينية وخطابها الجماهيري. وهكذا إن تغير الظرف أو المكان فإن آلياته لا بد أن تتغير وفقاً للمنهج العام لأهل البيت عليهم السلام.

تعميقاً على السؤال.. سيدنا، ماذا عن مبدأ اللاعنّف في الإسلام هل هو جسدي فقط أم يشمل العنف اللفظي؟ وكيف يتم التوفيق مع أحداث صاخبة لفظياً: (وتقبل منك يا حمار، يا ابن راعية المعزى، ..)؟

مبدأ اللاعنّف هو أساس في التعامل مع الآخر، لأن الإسلام يدعو للجوار بالتي هي أحسن، كما في قول الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾. [النحل: ١٢٥]، إلا أن الصراع عندما يحدث مع الظالمين والمعتدين فإنه لا بد من التعاطي مع ذلك الواقع بأدواته الخاصة والشرعية، والكلام في ثنائية العنف واللاعنف في الإسلام تحتاج إلى معالجات من مداخل عديدة، بحيث لا يكتفى بأصل المقولة، لأن لكل حادث حديث ولكل واقع موقف، ولكن إن أردنا الحديث عن العنف المرفوض من قبل الدين فهو كل ما يحقق مقولة الإكراه، فإن القرآن الكريم أسس لقاعدة (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ)، سواء كان ما يؤدي إلى الإكراه هو الفعل والإجبار الجسدي على فعل شيء ما، أو ما يكون الإنسان مجبراً فيها بسبب الأجواء التي وضع فيها، وهو ما يسمّى بالإكراه الأجوائى، وهذا النوع من العنف إن كان يؤدي إلى إجبار الإنسان على موقف أو فعل دون اختيار منه فهو يندرج ضمن العنف المرفوض.

إلا أن المقولات التي ذكرت مثل (يابن راعية المعزى) وغيرها، فهي لا تناقش ضمن سياق العنف وعدمه، وإنما تناقش ضمن التوصيفات التي يستحقها الطرف الآخر أو لا يستحقها، لأن الهدف والغاية منها ليست إجبار أحد على في ما، وإنما هي توصيف إما يراد منه التعريف العام أو التعريف من أجل تذكير الطرف الآخر بنفسه، أو التعريف الذي يقلل من شأن الآخر، أو الذي يعلي شأنه، أو غير ذلك، ولمعرفة استحقاق هذه التوصيفات لابد من دراسة الظرف الموضوعي لها لمعرفة الغاية منها.

ولو أننا دققنا في مقولة الإمام الحسين عليه السلام عن شمر بن ذي الجوشن (كأني بابن راعية المعزى)، فإنه يذكر بأصله الخبيث، ليحقق مقولة الرسول الأعظم ﷺ: لا يبغضك يا علي إلا من خبت أصله. فمن سيقدم على فعل كفعل شمر لعنه الله الذي حز رأس الإمام سلام الله عليه، لا شك ليس إنساناً سوياً، فالإمام يذكر بهذه الحقيقة عبر إشارة إلى حادثة التي وقعت لأمه مع راعي الماعز، وهذا ليس تعبيراً المهنة كما قد يفهمها البعض، وإنما تذكير بتلك الحادثة لتحقيق حقيقة مهمة وهي خبت الأصل، وقد نقل الحادثة صاحب مستدرک الوسائل، بقوله: (إن امرأة الجوشن خرجت من جبانة السبيع إلى جبانة كندة، فعطشت في الطريق ولاقت راعياً يرعى الغنم، فطلبت منه الماء فأبى أن يعطيها إلا بالإصابة منها، فمكثته من نفسها فواقعها الراعي وحملت بشمر (لعنه الله).

السؤال الرابع: هل تحتاج كربلاء اليوم لإعادة قراءة؟ لماذا؟ وكيف؟

يمكننا أن نقول أن كربلاء تحتاج إلى قراءة موضوعية متحررة عن إملاءات الواقع وبعيداً عن أسر الأجواء النفسية المحيطة، المشكلة التي يقع فيها الباحث في قراءته للحدث الكربلائي هي المؤثرات الأجوائية المحيطة التي تمثل حالة الزيف المؤثرة في الباحث، فقد يكون الزيف والانحراف نابعاً من نفسه كمن يطلب حظوة عند سلطان أو يريد أن ينأى بنفسه عن المسؤولية أو يريد تعزيز موقفه الذي اختاره

لدواعي مادية، وقد يكون الزيف والانحراف نابغاً من الأجواء المحيطة، فيتأثر الباحث بالمحيط السلبي، كمن يشعر بالانهماكية أو من يشعر بالضعف، أو من كان متحملاً بعض المسؤوليات ثم ألم به التعب، فتكونت لديه أجواء نفسية محبطة، ومن خلال ذلك نرى حالة الانتقاء لديه في قراءة الحدث الكربلائي، أو أنه يقوم بإتباع المتشابه، كما قال الله تعالى حول آيات القرآن الكريم ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿﴾. [آل عمران : ٧]

فإننا نحتاج إلى قراءة موضوعية للحدث الكربلائي حتى لو خرج الباحث بنتائج مغايرة لما عليه من حال، أو نتائج غير مقدورة لديه، أو نتائج لا تكون خياراً لظروفه الموضوعية، وإنما قد تكون ملائمة لظروف في مكان أو زمان آخر. لأن المشكلة الكبرى هي أن يقوم الباحث بالقراءة المتأثرة بالأجواء فيحرف التاريخ عن مساره.

(٢)

قراءة في واقع الأمة السياسي^(١)

السؤال الأول: بدءاً.. تشهد الساحة العربية والإسلامية حراكاً جماهيرياً يطالب بالتغيير على المستوى السياسي، وهذا الحراك ربما يعبر عنه بالاحتقان الداخلي، والنتائج التي حققها هذا الحراك الإطاحة بنظامي -تونس ومصر- جثما على صدر الأمة عقداً من الزمن، لم تشهد الساحة العربية والإسلامية خلالها إلا الظلم والاستبداد والتقهقر السؤال هو:

كيف تفرعون هذا الحراك المطالب بالتغيير من حيث دلالات شموليته للعالم العربي، ومن حيث تأثير العامل الدولي، وما هي نتائج المستقبلية؟.

الجواب: بعد أن مرّ العالم العربي بحقبة سبات عميقة انشأ فيها الحراك السياسي الحقيقي المؤدي إلى التغيير والتطوير في الأنظمة والوجوه والسياسات، فقد استفاق على صبح مشرق أشعل فيه روحاً جديدة قد دفعت إلى خلق وعي جديد، يؤسس واقعاً متفوقاً على واقع السبات والنكوص والتقهقر. في هذه اللحظة التاريخية الهامة اكتشفت المجتمعات العربية أن بداخلها قد انطوى العالم الأكبر، القادر على إحداث تغيير نوعي في حياته وفي اهتماماته وواقعه السياسي.

الشعوب كما تؤثر فيها تجارب الفشل والهزائم سلباً، فإن تأثير النجاحات والانتصارات سيولد شعوراً إيجابياً يبعث على الأمل. وتلك الطفرة الإيجابية التي حصلت لا يمكن أن ننسبها إلى الآخر المتمثل في الغرب، فهذا بخس لقدرات الإنسان من حيث هو إنسان قد خلقه الله تعالى بقدرات متساوية، ومن أهم دلائل أن هذه الطفرة هي طفرة داخلية بشكل كبير، أن الثورات والتحركات

١ / حوار نشر في مجلة البصائر الفصلية الدراساتية.

والمطالبات انتقلت من بلد إلى آخر بسرعة لا يمكن للغرب أن يديرها أجمعها في آن واحد، بل وإنما نجد أن التحركات قد انتقلت إلى مناطق لا يرغب الغرب في حصول تغيير جذري فيها، مما يتسبب في ضعفها في تلك المناطق الحليفة، سواء كان أصل التغيير ليس في صالحها أو سعة التغيير ونوعه ومداه.

ولكننا لا يمكن أن نتجاهل الاستفادة من الواقع الدولي في التشجيع على التقدّم وتحقيق مكاسب لصالح الشعوب، باعتبار أن التجارب الغربية متقدمة بشكل كبير وملحوظ على التجارب العربية المتسلطة، وكذلك الاستفادة من القوانين والمنظمات الحقوقية لممارسة الضغط على الدكتاتوريات التي تحاول أن تحفي جرائمها عن المجتمع الدولي.

ومن دون أدنى شك أن القوى الغربية تحاول التدخل في الشؤون العربية في واقع الرخاء، وهي في واقع الشدة وعند لحظات التحولات المحتملة أكثر اهتماماً للتأثير على مسارات الجهود لكي تكون في صالحها. ولكن ليس كل ما يتمنى الغرب يدركه، لذلك نجد التخطيط في المواقف، وكيف أن الشعوب أرغمت القوى الدولية على مجارة إرادة الأمة في مطالبها عندما تكون الأمة قوية وثابتة على مطالبها بشكل واضح، ومع ذلك فلم يخلو المشهد من سكوت الغرب عن الكثير من الانتهاكات، ولم يخلو المشهد من قفز المنتفعين كي يقطفوا ثمار الثورات.

أما فيما يتعلق بالتأثير المستقبلي والنتائج التي من الممكن أن يتحصلها المجتمع العربي بسبب هذه الثورات، فإنه من دون أدنى شك ستساهم في إنضاج التجربة في الحكم لتتطور لتكون تجربة في صالح الإنسان وفي دعم التنمية الحقيقية الخارجة عن دائرة التبعية والاعتماد على الآخر، عندها يمكن أن نستبشر بمستقبل يساهم أبناء الوطن في بناء هويتهم واستقلاليتهم التي تؤهلهم للدخول إلى ميدان تجاذب الحضارات وتنافسها وتكاملها.

ومن جهة أخرى فإن الحاضر المعبر عن روح الكرامة والإباء وتحدي سياسات الظلم والطغيان، سيكون هو التاريخ الذي يستمد منه الإنسان العزيمة في المستقبل، باعتباره تجربة إيجابية حتى لو لم تتحقق كل طموحه وآماله.

من أجواء الحراك:

السؤال الثاني: الوصول إلى الغاية لا يتم من دون وسائل موصلة، ويدور حالياً حوار ساخن حول أساليب العمل التغييرية على الساحة الإسلامية، فهناك من يطرح الأسلوب الصدامي (الأنموذج الليبي)، وهناك من يتبنى أساليب سلمية قوامها المظاهرات، وربما ترقى إلى العصيان المدني (الأنموذج التونسي والمصري)، ومن جهة أخرى نجد أن المشهد السياسي يكشف عن حضور العامل الدولي في حراك المجتمعات، فما هي الوسائل الملائمة للإصلاح في الأمة؟.

الجواب: إن مناقشة الخيارات الآلية في العمل السياسي يمكن النظر إليه من جهتين:

الجهة الأولى: المشروعية، وهذه الجهة ستغلب العمل السلمي والمدني على العسكري والصدامي، لأن العمل العسكري له شروطه الإضافية وله محاذيره المختلفة، أما العمل السلمي فإن مساحته إباحته ورجحانه أوسع. ولا يعيننا الدخول في الجدل الفقهي والقانوني، لأنه سيرتبط بالظروف الموضوعية المتغيرة من مكان إلى آخر.

الجهة الثانية: وهي الجهة التي ينبغي تسليط الضوء عليها، هي جهة التأثير وسعته وشموليته، ففي هذه الجهة نرى أن خيار الصدام والعسكرة لن يكون متاحاً للجميع المشاركة في عملية التغيير، إنما هو منحصر في فئة معينة هي التي تمتلك القدرات، ومن جهة أخرى فإن الخيار العسكري لا يمكن أن يستمر إلا إذا كانت له جهة ترفده بالآليات أو أن يكون هو ذاته صاحب إمكانات هائلة، وهذا ما

تفتقر إليه المجتمعات العربية، لأن الوضع السياسي المتأزم أفرز مشكلة الفقر وتدني المعيشة في تلك المجتمعات بشكل عام.

أما العمل السلمي بأدواته المختلفة ومنها العصيان المدني والإضرابات والمسيرات الاحتجاجية والاعتصامات طويلة المدة، فإن بإمكان كل أفراد الشعب بكل فئاته العمرية، أن يساهم فيه ويقدم فيه مجهوداً، إلا أن الأسلوب السلمي في الإصلاح والتغيير يحتاج إلى عامل مهم يلازمه، وهو العامل الإعلامي، فإن الآلة الإعلامية هي المغذي الحقيقي والمهم للعمل السلمي، ومن دونه الفائدة لا ترتجى بشكل جدي، ولقد شهدنا عمليات استخدام الإعلام الموجه والموصل إلى الجهات المعنية لكي تكون تلك الجهات هي عامل ضغط وعامل مؤثر في عملية التغيير، ومن هنا فإن الرؤية تكون واضحة بالنسبة للعامل الدولي المؤثر إيجاباً في الحراك السياسي، فإدام الحراك سلباً فإن بإمكانه أن يعبر عما يشاء وبإمكانه أن يطالب بأي مطلب وفي ذات الوقت سوف يحصل على مقدار من التعاطف والمؤازرة من بعض المنظمات الدولية لحفظ حقوقه المعترف بها دولياً، والتي تنتهك في المحيط العربي بشكل سافر.

هذا الكلام هو في أصل الفعل وأصل الحراك، إلا أن الظروف قد تنتج ردود أفعال حسب طريقة تعامل الحكومات مع الشعوب، فآلة القمع والاعتداء على الناس قد يفرز حالة من الدفاع عن النفس وهو مشروع شرعياً وحقوقياً، وهناك بعض الأدوات السلمية كالاعتصامات والاحتجاجات العصيانية قد يعتبرها البعض من جنس العنف إلا أنها تندرج ضمن العمل السلمي المشروع.

السؤال الثالث: من معوقات الإصلاح وتكريس سبات الأمة مسألة الطاعة للحاكم.

وظاهراً هي مؤسسة على آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وحينما نلتفت إلى أن الدين مؤسس على فلسفة الحق وثنائية الإيمان بالحق والكفر بالباطل.. تتولد جملة من الأسئلة؛ من هو ولي الأمر؟، ومن أين ينبع أساس حق الطاعة لولي الأمر؟، وأين تتموضع شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟، وهل يعتبر الحاكم رمز الدولة والأمة فالخروج عليه خروج على الأمة والوطن؟.

الجواب: إن الأنظمة العربية الاستبدادية تغذي حالة التحريف الفكري الذي يكون في صالحها، ومن واقع الأمة اليوم يمكننا أن نفهم كيف تمت عملية التحريف التاريخية في العصور المتقدمة، كعصر بني أمية وبني العباس، فإن فكرة طاعة الحاكم هي راجعة إلى انحراف فكري بالأساس من خلال عمليات التحريف التي تعرضت لها الأمة في كيفية قراءة نصوصها وداياتها.

الفهم المجزوء والمقطوع عن سياقاته النصية والظرفية لنصوص القرآن الكريم والابتعاد عن منهج أهل البيت «عليهم السلام» في فهم الدين وفي فهم كتاب الله تعالى، نتج عنه تحريف مصطلح أولي الأمر، من معناه الحقيقي وهو الولي الذي يستمد شرعيته من الله تعالى ومن الرسول ﷺ وهو يمثل امتداداً حقيقياً ومطابقاً للرسالة، يتم تحريفه إلى معنى الحاكم المتربع على الكرسي أيما كان وأياً كان.

وهذا التحريف يقصد به بقاء حكم الحاكم الجائر والمستبد على كرسيه دون أن يتعرض لمحاسبة من أحد، ودون أن يكون لأحد حق المطالبة بتغييره، أو المطالبة بالأفضل.

إننا نجد أن الآية التي تعالج هذه الإشكالية وتفك الالتباس إن كان هناك ثمة التباس، هي الآية رقم ٤٤ من سورة

المائدة التي يقول الله تعالى فيها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْرَوْا بآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

فكلمة (بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) هي المرجع الأساس في معرفة الولي وفي تركيبته، فلا بد أن يكون الحاكم واعياً عالماً بمضامين الكتاب وبالقيم التي جاء بها كتاب الله من التزام الحق وتحقيق العدالة والمساواة، والقيام بالقسط، وإشاعة الأمن والسلام، وغيرها من قيم الحكم، والصفة الثانية هي أن يكون ممارساً ومطبّقاً لتلك القيم على أرض الواقع، وإلا فإنه يكون خارجاً عن دائرة الحاكم العادل، وبالتالي فإن الحديث لا بد أن يكون عن ضرورة تغييره لا عن إباحة وعدم إباحة الخروج عليه.

فعندما يصل التحريف إلى هذا الحد فإن كل شيء يتلخص في الحاكم، فحب الوطن وحب المواطن كله يرجع إلى مدى الخضوع لهذا الحاكم. وعندما يتحرر العقل ويلتزم القراءة المتسوعبة والشمولية لكتاب الله العزيز، فإن المفاهيم تكون صالحة في عقله، ويتحرر من عبودية الحاكم إلى عبودية الله تعالى، ولهذا نادى الإمام الحسين عليه السلام القوم في كربلاء بنداء التحرر من عبودية الإنسان حينما قال لهم: (ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم ديناً وكنتم لا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم).

السؤال الرابع: نجاح النموذج الإصلاح السياسي في بلد ما.. يشجع تكراره في بلد آخر، هذا ما شهدناه في انتقال حراك الإصلاح المعاصر من بلد إلى بلد آخر، فما مشجعات الانتقال؟، وما عوامل نجاحه؟، وهل تشكل الذريعة التقليدية - وجود (خصوصيات) اجتماعية تميز مجتمعاً عن آخر - سدوداً فعلية؟.

الجواب: إن للنموذج دوراً كبيراً في حركة الإنسان وفاعليته، لهذا نجد أن القرآن الكريم يسوق لنا نماذج تاريخية عبارة عن تجارب توضح لنا إمكانيات الإنسان وقدراته وطاقاته الكامنة والقادرة على التغيير وتحقيق النجاحات الفعلية، كما جاء في القرآن الكريم ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ الْأَقْوَالُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. [المتحنة: ٤].

فإن النموذج القرآني لا يقتصر على حركة الأنبياء وحسب، بل يشمل الذين اتبعوا الأنبياء من غير المعصومين، ليجد الإنسان أنه مؤهل للقيام بدور رائد وكبير في حياته، وهو قادر على التغيير إذا اتبع الشروط وعرف مدى طاقاته.

وتكون التجارب مؤثرة من عدة جوانب، وكلها ذكرها القرآن الكريم ونوه لها، ومنها:

١/ تجارب الأنبياء والرسل عبر الإقتداء والتأسي ومحاولة الاقتراب من المثال المقدس، كما قال الإمام علي عليه السلام: ﴿أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يُقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدْ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطَمَرِيهِ وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصِيهِ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَ لَكِنْ أَعْيُنُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ﴾^(١).

٢/ تجارب الأنبياء المخلصين، وهنا يكون المثال أقرب حيث يبين إمكان التغيير من غير المعصوم.

٣/ التجارب التاريخية والمعاصرة، من خلال ملاحظتها، والاستفادة منها، كما أشار القرآن الكريم إلى حرب الروم والفرس في سورة الروم، وكما أشير إلى انهزام جيش إبرهة الحبشي في سورة الفيل،

وغير ذلك مما يقرب الإنسان للتجربة القريبة وقراءتها والاستفادة الإيجابية منها.

والتجارب الإنسانية لا تتوقف، فإن الأيام يداولها رب الناس بين الناس، وكلما قرأ الإنسان التجربة قراءة معتبر، اكتشف منها تلك الروح التي تغذيه وتحفزه للمحاكاة.

إن ما قيل أن التجارب العربية لا يمكنها أن تتكرر أو أنها لا تصلح أن تتكرر في قطر آخر، بذريعة خصوصية كل بلد عربي عن الآخر، هو قول سطحي ينظر للعادات المتنوعة للشعوب على أنها ثقافة راسخة، ومع تثبيت أن التنوع بين الشعوب في السلوكيات والأعراف هو أمر واقع، ولكنه ليس عائقاً عن الاستفادة وعن انتقال التجربة من بلد عربي آخر، لأن ما ينتقل هي روح القيم، قيم التغيير وقيم القدرة، تلك القيم التي تصوغ المفاهيم من جديد لترجم إلى سلوك وواقع عملي، ومن يعي القيم ويصوغ مفاهيمه على أساسها، فهو الحكيم الذي يطبق مفاهيمه بما يتناسب وواقعه، فلا يستنسخ التجربة بحذافيرها، لهذا جاء في الروايات عن أهل البيت عليهم السلام أن الحكمة أن تضع الشيء في موضعه، ولذلك جاءت الوصايا منهم عليهم السلام: خذ الحكمة ولو من فم كافر، وخذ الحكمة ولو من فم منافق. فبعيداً عن الخصوصيات السطحية يمكن لمن يجد الحكمة أن يستلهمها ليستفيد منها في واقعه. وقد قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. [البقرة: ٢٦٩]

إن الإشكالية المعرفية التي وقع فيها مثقفو العرب هي أنهم سَوَّقوا إلى مفاهيم خاطئة، ومنها: أن «الثقافة» هي تلك الأعراف والسلوكيات التي يلتزم بها المجتمع، ومنها تلك الخصوصيات السطحية التي تحاكي الواقع القائم والتي تطبعت ونشأت الشعوب عليها، ومنها طريقة التعامل والنظر للحاكم وكأنه رب يعبد، لهذا نجد أن بعض المنتسبين للفكر المدعين للاستنارة والتحرر،

يطأطون رؤوسهم ويسحون بحمد الطواغيت، مناقضين كل القيم التي يدعون لها، كل ذلك باسم الثقافة، فهذا التحريف يمكنه أن يقود إلى مقولة خصوصيات المجتمعات تمنع من انتقال التجارب الإصلاحية.

الإعلام القوة الجديدة:

السؤال الخامس: وسائل الاتصال (كالإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي) من أبرز آثار العولمة، وكان لها دور كبير في ثورة مصر، إلى الحد الذي دفع البعض إلى تسمية الثورة ب (الثورة الإلكترونية)، وتسمية شبابها ب (جيل الحرب الإلكترونية)، في مقابل جيل قديم لا خبرة له بوسائل الاتصال، مارس (الحرب التقليدية)، واصطلح على تسميته ب (جيل الحرب التقليدية)، ومن جهة أخرى كان للفضائيات دور أساس في خلق التعاطف والتأييد الخارجي ومنع الحكومات من استفراد شعوبها بالقمع. كيف تقرأون دور شبكات التواصل والإعلام في ما شهده ويشهده العالم العربي؟.

الجواب: من أكبر التحديات التي تواجه الحركات الإصلاحية والتغيرية هي مقدرتها على إيصال صوتها إلى أكبر شريحة ممكنة، لذلك نجد سرعة التأثير في المتلقي بالإضافة إلى قوة الفكرة، هو حضورها الجماهيري وطريقة حضورها، فكان للتطور في إيصال الفكرة وسرعتها دور بارز في التأثير بدأ من نقل الفكرة عبر مكبرات الصوت والمذياع والكاسيت، إلى ظهور التلفاز ومن ثم الحاسوب وصولاً إلى شبكات الإنترنت التي أحدثت طفرة نوعية واسعة. وما أضاف في سرعة التأثير على شبكات الإنترنت هي مواقع التواصل الاجتماعي التي أضافت بعداً مهماً في وسيلة التأثير، وهو البعد التفاعلي، الذي يمكن للشخص فيه أن يتفاعل مع الفكرة ويحشد لها بأبسط الأساليب ودون الحاجة إلى قاعات اجتماع.

نجد أن بعض المفكرين قد قلل من شأن شبكات الاتصال

ومواقع التواصل الاجتماعي في الثورات العربية، مقابل من أفرط في إعطائها الدور الأول والأوحد، إلا أننا نجد أن دورها الكبير لا يمكن أن يغفل، حيث كانت أحد أبرز العوامل في نجاح التحريك، لأنها أضافت عوامل مهمة في إنجاح الحركة التغييرية، ومنها «السرعة» في التأثير وفي إيصال الفكرة والمعلومة، ومنها «سعة التأثير» على الشرائح المختلفة والمتباعدة، ومنها «التحفيز» ومنها «المصداقية» من خلال نقل الوقائع على حقيقتها. وكل تلك العوامل من أهم ما تحتاجه الحركة التغييرية لتحقيق أهدافها. إلا أنها بلا شك لن تكون ذات فائدة ما لم يتصل ذلك بحراك واقعي وحقيقي على الأرض.

(٣)

الإعلام الحسيني والتحدي الحضاري^(١)

السؤال الأول: كيف تقرأون تطور المسيرة المبكرة للإعلام الفضائي الحسيني خلال الفترة الماضية؟

الجواب: لقد كانت آليات الإعلام الحسيني منحصرة في المنبر الحسيني الذي يستمع إليه عدد محدود من المتلقين، وهم الذين يقصدون الحسينيات بأشخاصهم، وقد تطور ذلك إلى عملية التسجيل الصوتي مما ساهم في توسيع رقعة الانتشار للصوت الحسيني، ومن جهة أخرى كان للكتاب دور بارز في التبليغ للقيم الحسينية ونشر السيرة الكربلائية المقدسة، والكتاب بدوره محدود العدد حيث أن الكتاب لا يطبع في المحيط العربي والإسلامي إلا بمقدار ألف إلى ثلاثة آلاف نسخة في أحسن الحالات.

فلقد بقي الإعلام الحسيني بهذه الأدوات زمناً طويلاً حتى مع ظهور الإعلام المرئي والفضائي عبر القنوات التلفزيونية، فلم تكن مسيرة الإعلام الفضائي الحسيني مبكرة قياساً مع أنواع الإعلام الأخرى، وذلك بفعل الكبت والاحتكار من جهة الحكومات والأنظمة لأدوات الإعلام الفضائي، حتى أصبح الفضاء متاحاً لكل من لديه صوت يريد أن يبلغ له، فتخطى حصار الأنظمة عبر الفضاء، وبمبالغ مادية أقل كلفة من السابق، وقد احتل الإعلام الحسيني تحديداً ضمن الإعلام الشيعي العام، موقعاً واسعاً وتسمت موقعاً بارزاً باعتباره القضية التي تحمل في طياتها الحرارة الدينية، والمحورية الإسلامية التي دارت حولها المفاهيم والقيم التي يؤسس لها الدين، فكانت الثورة الحسينية إحياء لكل ذلك، كما أنها قضية

١ / حوار لمجلة الولاء، لعام ٤٣٤١هـ، تصدر عن جمعية الرسالة في البحرين.

إنسانية تحتل مكانة كبيرة في الضمير الإسلامي بل والإنساني.

بعد هذه المسيرة التي التزمت السكة وحافظت على وجودها الفضائي بين العديد من الأصوات، فقد تخطى الإعلام الحسيني عقبته الأولى في إثبات الوجود والحضور كلون من ألوان العطاء والتبليغ، إلا أنه بحاجة إلى أن يكمل المسيرة في مجال التطوير والإبهار لكسب العقول والقلوب بشكل أكثر فاعلية. إننا نرى أن خطوة تحدي كسب العقول والقلوب بفاعلية هي الخطوة القادمة للإعلام الحسيني، والتي يحتاج لخوضها إلى أدوات مختلفة عن أدوات إثبات الوجود.

السؤال الثاني: هل استطاع هذا الإعلام الفضائي أن يواكب المستجدات ويكون بمستوى التحدي العالمي؟

الجواب: علينا أن نسأل أنفسنا أولاً ما هي رسالة عاشوراء، وما هي القضية الحسينية التي ينبغي أن تصل للعالم؟ ثم نسأل أنفسنا ما هي التحديات العالمية المعاصرة؟ ثم نربط السؤالين بما يمكن أن تسهم فيه القضية الحسينية على المستوى العالمي لتخوض ذلك التحدي الذي يتناسب مع رسالتها.

إن القضية الحسينية جاءت لإحياء الدين وإرساء معالمة في النفوس وتمكين قيمه في الواقع على كافة المستويات، فكانت القضية الحسينية قضية إحياء للدين، فهذا الهدف الذي من أجله بذلت الدماء واستمرت التضحيات، ومن جانب آخر نرى أن المشكلات العالمية المعاصرة متعددة في جانبها الاجتماعي وجانبها السياسي والفكري، ولكن ما يجمع ذلك هو الانحراف الفكري عن منهج الفطرة قبل أن يكون عن منهج الدين، ومنهج الدين جاء منسجماً مع فطرة الإنسان حيث خلق الله تعالى الإنسان على الفطرة السليمة التي شوهاها الإنسان.

فالرسالة التي يمكن أن تقدمها القضية الحسينية للعالم من خلال الإعلام لتخوض التحدي على مستواه العالمي، هي رسالة إحياء القيم في النفوس كمقدمة لإعلاء راية القيم في الواقع، ضمن مشخصاتها المختلفة في جانبها السياسي في تفعيل قيم العدالة والمساواة، وقيم الحرية والكرامة. وفي جانبها الاجتماعي في إحياء الإنصاف وحسن السيرة والتعايش السلمي والتعاطي بالقسط وإحياء مفاهيم العطاء الخيري، وكذا في الجانب الفكري التبليغ لقيم السماء والمعرفة المؤسسة على هدى القرآن الكريم والعترة الطاهرة، ليهتدي الناس إلى سواء السبيل.

يمكننا أن نلاحظ العطاء على المستوى الفردي في جانب إحياء القيم في النفوس، وظهوره في الإعلام الفضائي الحسيني، ومع حاجته إلى التطوير والتركيز، إلا أننا نفتقر إلى جانب إحياء القيم في الواقع، فهو بحاجة إلى التظهير والتداول ليعي كيف كان الإمام الحسين عليه السلام يريد لشكل الدولة ومعالمها، وكيف كان يريد أن يكون النظام الاجتماعي، وكيف ينبغي أن يكون النهج الفكري.

السؤال الثالث: كيف تطور مستوى الخطاب في الإعلام الفضائي الحسيني؟

الجواب: الخطاب الفضائي هو خطاب جماهيري حسب التصنيف المتعارف عليه في الأوساط العلمية، وأي خطاب جماهيري لابد أن يراعي الفئات المستهدفة لذلك الخطاب، فعندما نتحدث عن العطاء عبر تأليف الكتاب، فإننا يمكن أن نختار مستوى معين نوجه إليه الخطاب، والكتاب سوف يختاره من يطلبه ويبحث عنه، ولكننا في الإعلام الفضائي أمام خطاب يصل إلى الملايين من الناس المختلفين في مستوياتهم الإدراكية، ومتنوعين في ثقافتهم، لذلك فإن التطوير في الإعلام الحسيني الفضائي ينبغي أن ينحوا منحى المخاطبة لكل الفئات المتنوعة في المجتمعات كافة، ولا يكتفي بمخاطبة العقلية الشيعية المؤمنة بالإمام الحسين عليه السلام، بل يتخطاها إلى مخاطبة العقلية

التي تؤمن بالإمام الحسين عليه السلام كأحد الرجال الصالحين دون أن تتخذهُ إماماً، والعقلية التي تؤمن بالديانات المختلفة، والعقليات الحداثيّة المتنوعة في طرائق تفكيرها.

فمن ذلك المنطلق يمكن التطوير في المستويات الشكلية التي تخاطب كافة الأذواق وتجذب الأنظار المتنوعة عبر الأعمال الفنية المتعدّدة كالتمثيل والمسرح والأشودة والأفلام الوثائقية، بأسلوب عرضي متميّز وأخاذ. والتطوير المهم أيضاً في جانب محاكاة كافة المستويات والثقافات من نواحي متعددة كالسياسة والحقوق والاجتماع والاقتصاد والفكر والعقيدة وغيرها، وفي هذا الجانب ينبغي المحافظة على نوع الخطاب ونوع الأدب المستخدم لإيصال الفكرة، فالأسلوب الوعظي الذي يؤثّر في نفوس المريدين يختلف عن الأسلوب العلمي الذي يخاطب العقول ويحاوّر الأفكار المتباينة.

بهذا الجهد يمكن للخطاب الحسيني في الإعلام الفضائي أن يتقدم ويتميّز ويؤثّر في أوسع رقعة ممكنة، فإن الإمام الحسين نور، والنور يمكنه أن يضيء لكافة البشر، نسأل الله تعالى أن يوفقنا بالإمام الحسين عليه السلام وأن ينتشل البشرية من عذاباتها بنور الإمام الحسين عليه السلام.

الخاتمة

خطاب الإمام الحسين عليه السلام، بيان في حق القيام^(١)

الموقف من السلطان الجائر

قال الإمام الحسين بن علي عليه السلام^(٢): بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.
مِنَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ صُرَدٍ وَالْمُسَيْبِ بْنِ نَجْبَةَ وَرِفَاعَةَ بْنِ
شَدَادٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ وَائِلٍ وَجَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ،

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَدْ قَالَ فِي حَيَاتِهِ مَنْ
رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَجِلًا لِحُرْمِ اللَّهِ نَاكِثًا لِعَهْدِ اللَّهِ مُخَالِفًا لِسُنَّةِ رَسُولِ
اللَّهِ يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللَّهِ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ثُمَّ لَمْ يُعَيِّرْ بِقَوْلٍ وَلَا فِعْلٍ كَانَ
حَقِيقًا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَدْخُلَهُ مَدْخَلُهُ وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ كَرِهُوا
طَاعَةَ الشَّيْطَانِ وَتَوَلَّوْا عَنِ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ وَأَظْهَرُوا الْفَسَادَ وَعَظَلُوا
الْحُدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفِئَاءِ وَأَحْلَوْا حَرَامَ اللَّهِ وَحَرَّمُوا حَلَالَهُ وَإِنِّي أَحَقُّ
بِهَذَا الْأَمْرِ لِقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ أَتَيْتَنِي كُتُبِكُمْ وَقَدِمْتُمْ
عَلَيَّ رُسُلَكُمْ بِيَعْتِكُمْ أَنْكُمْ لَا تُسَلِّمُونِي وَلَا تَحْدِلُونِي فَإِنْ وَفَيْتُمْ لِي
بِيَعْتِكُمْ فَقَدْ أَصَبْتُمْ حَظَّكُمْ وَرُشِدَكُمْ وَنَفْسِي مَعَ أَنْفُسِكُمْ وَأَهْلِي
وَوَلَدِي مَعَ أَهْلَالِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ فَلَكُمْ بِي أَسْوَةٌ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَنَقَضْتُمْ
عَهْدَكُمْ وَخَلَعْتُمْ بِيَعْتَكُمْ فَلَعْمَرِي مَا هِيَ مِنْكُمْ بِنَكْرٍ لَقَدْ فَعَلْتُمُوهَا

١ / انتخبنا مقولات الإمام الحسين عليه السلام من عدة خطبها متفرقة طوال المسيرة الكربلائية.

٢ / قال هذه المقولات في مواطن متعددة من مسيرته المباركة.

بَأبي وَأخي وَإبنِ عَمِّي وَالْمَغْرُورِ مَنِ اغْتَرَّ بِكُمْ فَحَظَّكُمْ أَخْطَأْتُمْ
وَنَصَبِيكُمْ ضَيَعْتُمْ - فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَسَيُغْنِي اللَّهُ
عَنْكُمْ وَالسَّلَامُ^(١).

بالظلم يندرس الحق

فَإِنِ الطَّاعِيَةَ قَدْ صَنَعَ بِنَا وَبِشَيْعَتِنَا مَا قَدْ عَلِمْتُمْ وَرَأَيْتُمْ
وَشَهِدْتُمْ وَبَلَّغْتُمْ وَإِيَّيَّيْ أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَإِنِ صَدَقْتُمْ
فَصَدَّقُونِي وَإِنِ كَذَبْتُمْ فَكَذِّبُونِي أَسْمَعُوا مَقَالَتِي وَانْكُمُوا قَوْلِي ثُمَّ
ارْجِعُوا إِلَى أَمْصَارِكُمْ وَقَبَائِلِكُمْ مَنْ أَمْتَمُوهُ وَوَقَّعْتُمْ بِهِ فَاذْعُوهُمْ إِلَى
مَا تَعْلَمُونَ فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَنْدَرِسَ هَذَا الْحَقُّ وَيَذْهَبَ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ^(٢).

لا بيعة للطغاة الفاسقين

أَنَا أَهْلُ بَيْتِ الْكِرَامَةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَأَعْلَامُ الْحَقِّ الَّذِينَ
أُودِعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قُلُوبَنَا وَأَنْطَقَ بِهِ أَلْسِنَتَنَا فَنُطَقَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّ الْخِلَافَةَ مُحَرَّمَةٌ
عَلَى وُلْدِ أَبِي سُفْيَانَ وَكَيْفَ أَبَايَعُ أَهْلَ بَيْتٍ قَدْ قَالَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ هَذَا؟!^(٣)

أَنَا أَهْلُ بَيْتِ النُّبُوَّةِ وَمَعْدِنُ الرِّسَالَةِ وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ وَبِنَا
فَتَحَ اللَّهُ وَبِنَا خَتَمَ اللَّهُ وَيَزِيدُ رَجُلٌ فَاسِقٌ شَارِبُ الْخُمْرِ قَاتِلُ النَّفْسِ
الْمُحَرَّمَةِ مُعَلِّنٌ بِالْفِسْقِ وَمِثْلِي لَا يُبَايَعُ مِثْلَهُ^(٤).

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَعَلَى الْإِسْلَامِ السَّلَامُ إِذْ قَدْ بَلَّيْتَ
الْأُمَّةُ بِرَاعٍ مِثْلِ يَزِيدَ وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَدِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ

١ / بحار الأنوار، ط بيروت، ج ٤٤، ص ٢٨٣

٢ / الاحتجاج للطبرسي، ج ٢ ص ٦٩٢

٣ / الأمالي للشيخ الصدوق ص ٢٥١

٤ / بحار الأنوار، ط بيروت، ج ٤٤، ص ٥٢٣

الْخِلَافَةُ مُحَرَّمَةٌ عَلَى آلِ أَبِي سُفْيَانَ^(١).

الخروج من أجل إصلاح الأمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَذَا مَا أَوْصَى بِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ
 بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى أَخِيهِ مُحَمَّدٍ الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْحَنْفِيَّةِ أَنَّ الْحُسَيْنَ يَشْهَدُ
 أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ جَاءَ
 بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ الْحَقِّ وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا
 وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ وَأَنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا مُفْسِدًا
 وَلَا ظَالِمًا وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلْبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةٍ جَدِّي صَ أُرِيدُ أَنْ
 أَمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيٍّ بْنِ أَبِي
 طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللَّهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا
 أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ وَهَذِهِ
 وَصِيَّتِي يَا أَخِي إِلَيْكَ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ.^(٢)

من مظاهر الفساد

إِنَّهُ قَدْ نَزَلَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ تَرَوْنَ وَإِنَّ الدُّنْيَا تَغْيَرَتْ وَتَنَكَّرَتْ
 وَأَذْبَرَ مَعْرُوفُهَا وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صَبَابَةٌ كَصَبَابَةِ الْإِنَاءِ وَحَسْبُ عَيْشٍ
 كَالْمَرْعَى الْوَيْبِلِ أَلَا تَرَوْنَ إِلَى الْحَقِّ لَا يُعْمَلُ بِهِ وَإِلَى الْبَاطِلِ لَا يُتَنَاهَى
 عَنْهُ لِيَرْغَبَ الْمُؤْمِنُ فِي لِقَاءِ رَبِّهِ حَقًّا حَقًّا فَإِنِّي لَا أَرَى الْمَوْتَ إِلَّا سَعَادَةً
 وَالْحَيَاةَ مَعَ الظَّالِمِينَ إِلَّا بَرَمًا.^(٣)

واقع الظالمين ومصيرهم

تَبَّأَ لَكُمْ آيَتُهَا الْجَمَاعَةُ وَتَرَحَّأَ أَفْحِينَ اسْتَصْرَحْتُمُونَا وَلِهَيْبِنَ
 مُتَحَرِّيرِينَ فَأَصْرَحْتُمْ مُؤَدِّينَ مُسْتَعِدِّينَ سَلَلْتُمْ عَلَيْنَا سَيْفًا فِي رِقَابِنَا

١ / بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٦٢٣

٢ / بحار الأنوار ج ٤٤، ص ٥٣٣

٣ / بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ١٨٣

وَحَشَشْتُمْ عَلَيْنَا نَارَ الْفِتَنِ خَبَأَهَا عَدُوُّكُمْ وَعَدُونَا فَأَصْحَحْتُمْ أَلْبَاءَ عَلَيَّ
 أَوْلِيَاءِكُمْ وَيَدًا عَلَيْهِمْ لِأَعْدَائِكُمْ بَعِيرٌ عَدَلٌ أَفْشَوْهُ فِيكُمْ وَلَا أَمَلٌ أَصْبَحَ
 لَكُمْ فِيهِمْ إِلَّا الْحَرَامُ مِنَ الدُّنْيَا أَنَالُوكُمْ وَخَسْبِسُ عَيْشَ طَمِعْتُمْ فِيهِ مِنْ
 غَيْرِ حَدَثٍ كَانَ مِنَّا لَا رَأْيَ تَقِيلُ لَنَا فَهَلَا لَكُمْ الْوَبْلَاتُ إِذْ كَرِهْتُمُونَا
 وَتَرَكْتُمُونَا تَجَهَّزْتُمُوهَا وَالسَّيْفُ لَمْ يُشْهَرِ وَالْجَأْسُ طَامِنٌ وَالرَّأْيُ لَمْ
 يُسْتَحْصَفْ وَلَكِنْ أَسْرَعْتُمْ عَلَيْنَا كَطَيْرَةَ الذَّبَابِ وَتَدَاعَيْتُمْ كِتْدَاعِي
 الْفَرَّاشِ فَفُتِحَا لَكُمْ فَأَيَّمَا أَنْتُمْ مِنْ طَوَاغِيَتِ الْأُمَّةِ وَشُدَاذِ الْأَحْزَابِ
 وَبَدَّةِ الْكِتَابِ وَنَفْثَةِ الشَّيْطَانِ وَعُصْبَةِ الْأَنَامِ وَمُحْرَفِي الْكِتَابِ وَمُطْفِئِي
 السُّنَنِ وَقَتْلَةِ أَوْلَادِ الْأَنْبِيَاءِ وَمُبِيرِي عِزَّةِ الْأَوْصِيَاءِ وَمُلْحِقِي الْعَهَارِ
 بِالنَّسَبِ وَمُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ وَصَرَاحِ أَيْمَةِ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا
 الْقُرْآنَ عَضِيضًا وَأَنْتُمْ - ابْنُ حَرْبٍ وَأَشْيَاعُهُ تَعْتَمِدُونَ وَإِنَّا نَحْمِذِلُونَ
 أَجَلَ وَاللَّهِ الْخُذْلُ فِيكُمْ مَعْرُوفٌ وَشَحْتُ عَلَيْهِ عُرُوفُكُمْ وَتَوَارَتْهُ
 أَصُولُكُمْ وَفُرُوعُكُمْ وَثَبَّتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ وَعُشِيَتْ صُدُورُكُمْ فَكُنْتُمْ
 أَحَبَّ شَيْءٍ سِنَخًا لِلنَّاصِبِ وَأَكْلَةً لِلْغَاصِبِ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى النَّاكِثِينَ
 الَّذِينَ يَنْقُضُونَ الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا
 فَانْتُمْ وَاللَّهِ هُمْ.

أَلَا إِنَّ الدَّعِيَّ ابْنَ الدَّعِيِّ قَدْ رَكَزَ بَيْنَ اثْنَتَيْنِ بَيْنَ الْقَلَةِ [السَّلَّةِ]
 وَالدَّلَّةِ وَهَيْهَاتَ مَا أَخَذَ الدِّيْبَةَ أَبِي اللَّهِ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ وَجُدُودٌ طَابَتْ
 وَحُجُورٌ طَهَّرَتْ وَأَنْوُفٌ حَمِيَّةٌ وَنُفُوسٌ أَيْبَةٌ لَا تُؤْثِرُ مَصَارِعَ اللِّتَامِ عَلَى
 مَصَارِعِ الْكِرَامِ أَلَا قَدْ أَعْدَرْتُ وَأَنْذَرْتُ أَلَا إِنِّي رَاحِفٌ بِهِذِهِ الْأَسْرَةِ
 عَلَى قَلَةِ الْعَتَادِ وَخُذَلَةِ الْأَصْحَابِ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

فَإِنْ تَهَزَّمْ فَهَزَّمُوا قَدَمًا
 وَإِنْ نُهَزَّمْ فَغَيْرٌ مُهَزَّمِينَا

وَمَا إِنْ طِبْنَا جُبْنٌ وَلَكِنْ
 مَنَايَنَا وَدَوْلَةُ آخِرِينَا

أَلَا تَمَّ لَا تَلْبَثُونَ بَعْدَهَا إِلَّا كَرِثَ مَا يُرِثُ الْفَرَسُ حَتَّى تَدُورَ بِكُمْ
الرَّحَى عَهْدُ عَهْدُهُ إِلَيَّ أَبِي عَنْ جَدِّي فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ
كَيْدُونَ جَمِيعاً فَلَا تَنْظُرُونَ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ
إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اللَّهُمَّ احْسِنْ عَنْهُمْ
قَطْرَ السَّمَاءِ وَأَبْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسَنِي يُوسُفَ وَسَلِّطْ عَلَيْهِمْ غَلَامَ
ثَقِيفٍ يَسْقِيهِمْ كَأَسَا مُصْرَةَ وَلَا يَدْعُ فِيهِمْ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ قَتْلَةً بِقَتْلَةٍ
وَضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ يَنْتَقِمُ لِي وَلِأَوْلِيَائِي وَأَهْلِ بَيْتِي وَأَشْيَاعِي مِنْهُمْ فَأَنْهَمُ
عُرُونَا وَكَذَّبُونَا وَخَدَلُونَا وَأَنْتَ رَبُّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ثُمَّ قَالَ أَيُّنَ عَمْرُ بْنُ سَعْدٍ ادْعُوا لِي عَمْرَ فَدَعِيَ لَهُ وَكَانَ كَارِهَاً
لَا يُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَهُ فَقَالَ يَا عَمْرُ أَنْتَ تَقْتُلُنِي تَزْعُمُ أَنْ يُؤَلِّيكَ الدَّعِيُّ ابْنُ
الدَّعِيِّ بِلَادَ الرَّيِّ وَجُرْجَانَ وَاللَّهِ لَا تَتَّهِنَا بِذَلِكَ أَبَدًا عَهْدًا مَعْهُودًا
فَأُضِنَّ مَا أَنْتَ صَانِعٌ فَإِنَّكَ لَا تَفْرُحُ بَعْدِي بِدُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ وَلَكِنِّي
بِرَأْسِكَ عَلَى قِصْبَةٍ قَدْ نَصَبَ بِالْكَوْفَةِ يَتْرَامَاهُ الصَّبِيَانُ وَيَتَّخِذُونَهُ
غَرَضًا بَيْنَهُمْ^(١).



للتواصل مع المؤلف
السيد محمود الموسوي
الموقع على شبكة الإنترنت:
www.mosawy.com
البريد الإلكتروني:
smamood@gmail.com
smamood@hotmail.com